الشهد المسكوب

شرح منظومة أسباب حياة القلوب

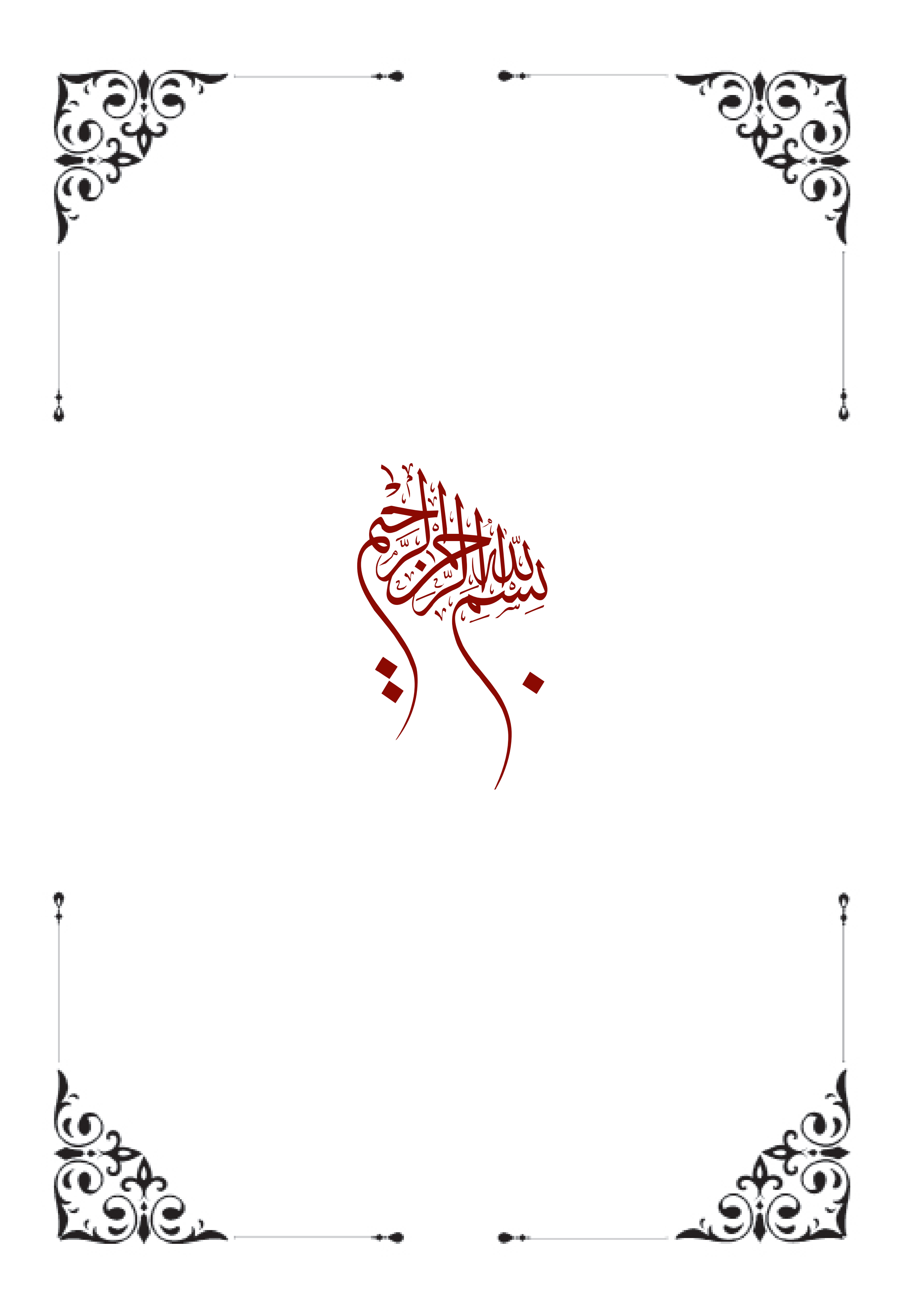
للشيخ/ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٣٠١ هـ)

شرحها

سليمان بن محمد الوابصي

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ/ ٢٠٢٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

١ -حَمِدْتُ الّذي أغْنَى وَأَقْنَى وَعلَّمَا
وَصَــيَّـرَ شُكْرَ الْعَبْدِ لِلخَيْرِ سُلَّمَا

٢ -وأُهدِي صَلَاةً تَسْتَمِرَّ عَلَى الرِّضَى
وَأَصْـحَـابِـهِ وَالآلِ جَمْعًا مُسَلِّمَا

٣ -كما دلَّنا فِي الْوَحْيِ والسَّنَنِ الَّتِي
أَتَـانَـا بِـهَـا نَـحْـوَ الـرَّشَـادِ وعَـلَّـمَـا

٤ -أَزَالَ بِهَا الأَغْلَافَ عَنْ قَلْبِ حَائِرٍ
وَفَـتَّـحَ آذانًـا أُصِـمَّـتْ وَأَحْـكَـمَـا

٥ -فيا أَيُّـهَـا البَاغِي استِنَارَةَ قَلبِهِ
تَـدَبَّـرْ كِـلَا الوَحْيَيْنِ وانْـقَدْ وَسَلِّمَا

٦ -فَعُنْوانُ إسْعَادِ الفَتَى فِي حَيَاتِهِ
مَـعَ اللهِ إقـبـالًا عـلـيـهِ مُـعَـظَّـمَـا

٧ -وَفَاقِدُ ذَا لا شَكَّ قَدْ مَاتَ قَلْبُهُ
أَو اعْتَلَّ بالأَمْراضِ كالرِّينِ والعمَى

[علامات مرض القلب]

٨ -وآيـةُ سُقْمٍ فِي الـجَـوَارِحِ مَنْعُهَا
مَـنَـافِـعَـهَـا أو نَـقْـصُ ذَلـك مِثْلَمَا

٩ -وَصِحتُها تَـدرِي بِإتْيَان نَفْعِهَا
كنُطْقٍ وَبَـطْـشٍ وَالـتَّـصَـرُّفِ والنَّمَا

١٠ -وَعَيْنُ امْتِرَاضِ الْقَلْبِ فقدُ الذي لَهُ
أُرِيْدَ مِن الإخْلاصِ والحُبِّ فاعْلَمَا

١١ -وَمَـعْـرِفَـةٍ شَــوْقٍ إلـيـه إنـابَـةٍ
بِـ إيْثَارِ ذا دُونَ الْمُحَبَّاتِ فَاحْكُمَا

١٢ -وَمُوثِرُ مَحْبُوبٍ سِوَى اللهِ قَلْبُهُ
مَرِيْضٌ على جُرْفٍ مِنَ الموْتِ والعَمَى

١٣ -وَأَعْظَمُ مُحْذُورٍ خَفَا مَوْتِ قَلْبِهِ
عَـلَيْهِ لِـشُـغْلٍ عَـنْ دَوَاهُ بِـضِـدِّ مَا

١٤- وآيـة ذا هـون القبائح عنده
ولـــولاه أضـحـى نـادمـا متـألّـما

١٥ -فقد عاشَ بالجهلِ المركبِ راضيًا
حليفَ الجفا أضحى عليهِ مُصَمِّمَا

١٦ -فَجَامِعُ أمْراضٍ القلوبِ اتِّباعُهَا — هَـواهَـا فخَالِفهَا تَـصِـحَّ وَتَسْلَمَا

١٧ -وَمن شُؤْمِهِ تَرْكُ اغتِدَاءٍ بِنَافِعٍ — وَتَرْكُ الدَّوا الشَافِي، وَعَجْزٌ كِلَاهُمَا

[علامات صحة القلب]

١٨ -إذا صَحَّ قَلبُ العَبْدِ بَانَ ارتِحَالُهُ — إلـى دَارِهِ الأخْـرَى فَـرَاحَ مُسَلّما

١٩ -وَمِنْ ذاكَ إحْسَاسُ المُحِبّ لِقَلْبِهِ — بِـضَـرْبٍ وَتَـحْـرِيـكٍ إلـى اللهِ دَائِمَـا

٢٠ -إلـى أَنْ يُهَنَّا بِـالإنَـابَـةِ مُخْبِتًا — فَـيَـسْـكُـنُ فِي ذَا مُـطْـمَـئِـنًـا مُنَعَّمَا

٢١ -وفيها دَوَامُ الذِكْر فِي كُلِّ حَالَةٍ — يَـرى الأُنْـسَ بالطَّاعَات للهِ مَغْنَمَا

٢٢ -وَيَصْحَبُ حُرًّا دَلَّهُ فِي طَرِيقِهِ — وكـان مُـعِـيْـنَـا نـاصـحًـا مُـتِـيَـمَّـمَـا

٢٣ -وَمنها إذَا مَا فَاتَه الـوِرْدُ مَرَّةً — تَـــرَاهُ كَـئِـيْـبًـا نَـادِمًـا مُـتَـأَلِّـمَـا

٢٤ -وَمِنْهَا اشْتِيَاقُ القَلْبِ فِي وَقْت خِدْمَةٍ — إليْهَا كَمُشْتَدٍّ به الـجُـوعُ والظَّمَا

٢٥ -وَمِنْهَا ذَهَابُ الهَمِّ وَقْتَ صَلَاتِهِ — بِـدُنْـيَـاهُ مُـرتَـاحَـا بِـهـا مُـتَـنَـعِّـمَـا

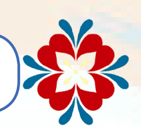
٢٦ -وَيَشْتَدُّ عَنْهَا بَعدَهُ لِخُرُوجِهِ — وَقَـدْ زَالَ عَنْهُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ فَاسْتَمَا

٢٧ -فَـأَكْـرِمْ بِـهِ قَلْبًا سَلِيمًا مُقَرَّبَا — إِلَـى اللهِ قَـدْ أَضْـحَـى مُحِبًّا مُتَيَّمَا

٢٨ -وَمِنْهَا اِجْتِمَاعُ الْهَمِّ مِنْهُ بِرَبِّهِ — بِـمَـرْضَـاتِـهِ يَسْعَى سَرِيعًا مُعَظِّمَا

٢٩ -وَمِنْهَا مُـرَاعَـاةٌ وَشُحٌّ بِوَقْتِهِ — كَمَا شَحَّ ذُو الْمَالِ الْبَخِيلِ مُصَمِّمَا

٣٠ -وَمِنْهَا اِهْتِمَامٌ يُثْمِرُ الْحِرْصَ رَغْبَةً — بتصحيح أعـمـال يـكـون متمما



٣١ -بإخلاص قصد والنصيحة محسنًا … وتقييده بالاتباع ملازما

٣٢ -ويشهد مع ذا منةَ الله عنده … وتقصيرَه في حقِّ مولاه دائمًا

٣٣ -فستٌّ بها القلب السليم ارتداؤه … وينجو بها من آفة الموت والعمى

٣٤ -فدونكها تسع علامات صحة … لقلب الفتى فاحرص وكن متعلما

[خاتمة]

٣٥ -فَيَا رَبِّ وَفِّقْنَا إلى مَا نَقُولُهُ … فَمَا زِلْتَ يَا ذَا الطَّوْلِ بَرًّا ومُنْعِمَا

٣٦ -فَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتُ قَوْلَ مُحَقِّقٍ … أُقِرُّ بِتَقْصِيرِي وَجَهْلِي بِعِلْمِ مَا

٣٧ -وَلَمَّا أَتَى مِثْلِي إلى الجَوِّ خَالِيًا … مِنَ العِلْمِ أَضْحَى مُعْلِنًا مُتَكَلِّمَا

٣٨ -كَغَابٍ خَلَا مِنْ أُسْدِهِ فَتَوَاثَبَتْ … ثَعَالِبُ مَا كَانَتْ تَطَا فِي فِنَا الحِمَى

٣٩ -ولكن بحبي للعلوم وأهلِها … رجوتُ ثوابًا في حديثٍ لديهما

٤٠ -فيَا سَامِعَ النَّجْوَى وَيَا عَالِمَ الخَفَا … سَأَلْتُكَ غُفْرَانًا يَكُونُ مُعَمِّمَا

٤١ -فَما جرَّنِي إِلَّا اِظْطِرَارٌ رَأَيْتُهُ … تَخَوَّفْتُ كَوْنِي إِنْ تَوَقَّفْتُ كَاتِمَا

٤٢ -فَأَبْدَيْتُ مِن جُرَّاهُ مُزْجَي بِضَاعَتِي … وَأَمَّلْتُ عَفْوًا مِن إلهِي وَمَرْحَمَا

٤٣ -فَمَا خَابَ عَبْدٌ يَسْتَجِيرُ بِرَبِّهِ … أَلَحَّ وَأَمْسَى طَاهِرَ القَلْبِ مُسْلِمَا

٤٤ -وَصَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ محمدٍ … كَذا الآلِ والأصحاب مَا دَامَتْ السَّمَا

❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاّ إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله، وصحبه، وسلّم تسليما كثيرا، أمّا بعد .....

في مطلع شهر رجب، راسلني أخي وصديقي، الشيخ صالح ابن الشيخ حماد بن مريزيق البشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من منطقة القصيم، وطلب منّي أن أشرح منظومة (أسباب حياة القلوب) للشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومثله لا يُردّ طلبه، وجريًا على طريقة الأوائل، واقتداءً بسَنن العلماء الأفاضل، وتشبّهًا بالعلماء والصالحين، وإن كنتُ لست منهم حقيقة، ولكن نحاول أن نتشبّه بهم، كما قال الشاعر:

وتشبّهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إنّ التشبّه بالكرام فلاح

استعنت بالله عَزَّوَجَلَّ، وعزمت على شرح المنظومة، وممّا يحفّز الإنسان على التأليف، والتصنيف، أنّ هذا الكتاب النافع، يبقى صدقة جارية، ينتفع بها الكاتب بعد موته، إذا كان هذا الكتاب من الكتب المفيدة النافعة، فانظر إلى هذه المنظومة التي كتبها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كم بيننا وبينها الآن؟!

قد مـات قـوم وما ماتـت فضائلهم ... وعاش قـوم وهم في النـاس أموات

اللهـم وفّقنا لهـداك، واسـتعملنا في رضـاك، وارزقنا الصـدق والإخلاص يا كريم و الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد.

❊❊❊

ترجمة الناظم

هو العلّامة المحقّق، الشيخ حمد بن علي ابن محمد ابن عتيق، اشتهر بابن عتيق نسبة إلى جدّه الثاني عتيق، وكذلك ذرّيته إنّما يعرفون بآل عتيق.

ولد هذا العالم في بلدة الزلفي من بلدان نجد، سنة ألف ومئتين وسبع وعشرين من الهجرة، وقرأ القرآن حتّى حفظه.

ثمّ بعد ذلك سمت همّته، وتاقت نفسه، إلى طلب العلم الشريف، فسافر من بلدة الزلفي في سبيل طلب العلم، فقدم الرياض سنة ألف ومئتين وثلاث وخمسين من الهجرة، وذلك في زمن الإمام فيصل بن تركي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فمكث بها تسع سنين، يقرأ فيها على الشيخ العلّامة عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله جميعًا-.

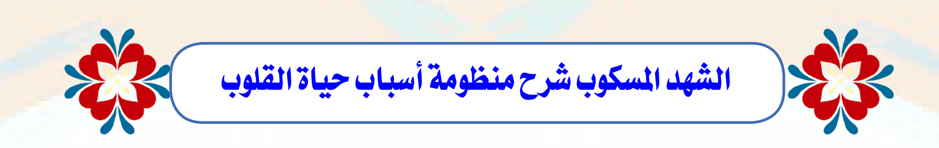
وكان حريصًا مجتهدًا فرّغ نفسه من جميع المشاغل، وأقبل على العلم برغبة شديدة، فتخرّج على الشيخ عبد الرحمن بن حسن، فمهر في علم الفقه، والعقائد، وأصول الدين والتوحيد.

وقد ولّاه الإمام فيصل، قضاء الخرج، ثمّ تولّى قضاء الأفلاج، واستقر بها وجلس لطلاب العلم يقرأون عليه، فتخرج به خلائق لا يحصون كثرة، من أجلّهم وأشهرهم، عالم نجد في زمانه الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبد اللطيف، رحل إليه في بلدة الأفلاج عام ألف ومئتين وأربع وتسعين للهجرة، وقرأ عليه مدّة سنتين وقرأ عليه ابنه العلّامة الجليل الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، العالم المشهور، وابنه الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق.

وقد ألّف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفات كثيرة مفيدة منها (إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد) وله رسالة بعنوان (بيان النجاة والفكاك) وأيضًا (الدفاع عن أهل السنة والاتّباع) وكتب رسالة لصدّيق حسن خان ينبّهه فيها، على أخطاء وقعت في تفسيره، وله غير ذلك من الرسائل الكثيرة، وكان معروفًا بقوّة الإيمان، وصلابة الدين، ونشر الدعوة.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ألف وثلاثمئة وواحد للهجرة، في بلدة الأفلاج.





الحمـد لله، ربّ العالميـن، والصلاة والسـلام على نبيّنا محمـد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

١ -حَمِدْتُ الّذي أغْنَى وَأَقْنَى وَعَلَّمَا وَصَيَّـرَ شُـكْرَ الْعَبْـدِ لِلخَيْـرِ سُـلَّمَا

*** قوله: رَحِمَهُ ٱللَّهُ (حمدتُ الذي)**

- بدأ الناظم بحمد الله تعالى، والثناء عليه.
- والحمد هو: وصف المحمود بالكمال والجمال، محبّة وتعظيما.

*** وقوله: (أغنى وأقنى وعلّم)**

أغنى يقال في اللغة: أغنى فلانا أي: جعله ثريا ذا مال، ووسّع عليه.

۞ وهنا فائدة: الغنى نوعان:

- النوع الأول: غنى المال: وهو أن يعطيه الله من المال ما يكفيه.
- النوع الثاني: غنى النّفس، وهذا النوع أشرف أنواع الغنى.

ومعنى غنى النفس: أن يعمر الله قلب العبد، رضا بما أعطاه، وثقة بما عنده.

*** وقوله: (وأقنى)**

- أقنى: من القنية، بضم القاف وكسرها.
- والقنية هي: الاحتفاظ بالشيء، للانتفاع به.

يقال في اللغة: قنى الرجل المال أي: كسبه وجمعه، واتّخذه لنفسه لا للتجارة.

* وقوله: (وعلّم)

- الضمير يعود على الله جَلَّ وَعَلَا، فهو الذي علّم، وفهّم، قال الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: آية ٣].
- والعلم هو: من أعظم أنواع النّعم.

* وقوله: (وسيّر)

- سيّر بمعنى: حوّل وغيّر، وتأتي بمعنى: جعل.
- تقول العرب: سيّر العجين خبزا أي: جعل العجين خبزا.

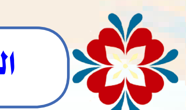
* وقوله: (شكر العبد)

- الشكر: مصدر شكر يشكر.
- وهو: تصوّر النّعمة وإظهارها.
- وضدّه الجحود الذي هو: نسيان النّعمة ونكرانها.
- وأصل الشكر هو: ظهور أثر النّعمة على العبد.

وهنا مسألة: ما الفرق بين الشكر والحمد؟

* الجواب: الشكر أعمّ من الحمد.

- فالشكر يكون: باللسان والقلب والجوارح.
- والحمد يكون: باللسان والقلب.



* وقوله: (العبد)

- العبدُ مأخوذ من العبودية، وهي مأخوذة من التعبيد والتذليل.
- تقول العرب: عبّدت الطريق أي: ذلّلته وسهّلته.

وهنا فائدة:

* العبودية تنقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: عبودية عامة.
- القسم الثاني: عبودية خاصة.

* والعبودية العامة: يدخل في هذا المعنى جميع المخلوقات، في العالم العلوي والعالم السفلي، قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [سورة مريم: الآيات ٩٣-٩٥].

* والعبودية الخاصة هي: عبودية العبد العابد لله المطيع لأوامره، وهي أشرف أنواع العبودية، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ١]

قال الشاعر:

ومـمّـا زادني شـرفًـا وتـيـهـا ... وكِـدت بأخمصي أطأ الثُّريّا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن سـيّـرت أحـمـد لـي نبيّا

* وقوله: (للخير سلّما)

○ المقصود أنّه، جعل شكر العبد لربّه، أحد الطرق الموصلة إلى الخير بأنواعه.

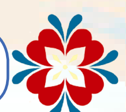
■ **ومعنى البيت:**

١ - حَمِدْتُ الّذي أغْنَى وَأَقْنَى وَعَلَّمَا   وَصَيَّرَ شُكْرَ الْعَبْدِ لِلخَيْرِ سُلَّمَا

الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ بحمد الله والثناء عليه، وبعد ما ذكر الحمد، ذكر ما يوجب محبّة المحمود وتعظيمه، والله سبحانه إذا حمد نفسه، ذكر موجبات حمده، يعني الأسباب التي نحمده عليها، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [سورة الفاتحة: الآيات ٢-٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [سورة الكهف: آية ١].

وبعد حمد الله، ذكر ثلاثة أفعال توجب حمد الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الذي أغنى، وأقنى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النجم: آية ٤٨]، وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [سورة العلق: آية ٥].

❊❊❊



■ **قال الناظم:**

٢ -وأُهدِي صَلَاةً تَسْتَمِرَّ عَلَى الرِّضَى وَأَصْحَابِـهِ وَالآل جَمْعًـا مُسَـلِّمَا

*** قوله: (وأهدي)**

- الهدية هي: إعطاء شيء بغير عوض، صلة وتقربًا وإكراما.
- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تهادَوا تحابُّوا)[١].
- ومعنى تهادوا أي: تبادلوا الهدايا بينكم.
- ومعنى تحابوا أي: الهدية سبب في حصول المحبّة والمودّة بينكم.

وهنا فائدة:

الهدية لها فوائد:

١. الهدية وسيلة لربط العلاقات الإنسانية وتعزيز الروابط العاطفية بين الأفراد.
٢. الهدية فيها تعزيز للمشاعر الإيجابية.
٣. الهدية تُدخل السرور والبهجة على قلب المهدى إليه.
٤. الهدية تزيد في الألفة والمحبة.
٥. الهدية تُذهب وغر الصدور .

(١) أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (٥٩٤)

وهنا مسألة : ما الفرق بين الهدية والهبة؟

الجواب:

- الهدية يُقصد منها: التقرّب إلى المهدي إليه.
- والهبة يقصد منها: نفع الموهوب له.
- والهدية: تكون في الغالب من الأدنى إلى الأعلى.
- والهبة: تكون مع المساوي ومع من دونه.

*** وقوله: (صلاة)**

- الصلاة في اللغة الدعاء، وهي المقصودة هنا.
- وفي الاصطلاح: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، ومُختَتَمَّةٌ بالتسليم.

*** وقوله: (تستمرُّ)**

- يعني تدوم.

*** وقوله: (على الرِّضى)**

- المُراد بالرِّضى هو: محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، الذي رضي الله قوله، وفعله.

*** وقوله: (وأصحابه)**

- أي أصحاب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والواو حرف عطف، والمقصود أنّه يصلّي على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وعلى أصحابه.
- والصحابي هو: من لقي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، مؤمنًا به، ومات على ذلك.

۞ وهنا مسألة: هل تجوز الصلاة على غير الأنبياء؟

* الجواب: في المسألة ثلاثة أقوال:

- القول الأول: تجوز الصلاة على غير الأنبياء تبعًا وهذا بالإجماع.
- القول الثاني: لا تجوز الصلاة على غير الأنبياء استقلالا.
- القول الثالث: تجوز الصلاة على غير الأنبياء عرضا، يعني لا يكون شعارًا وعادة.

وهنا قاعدة (يجوز عرضًا ما لا يجوز استقلالا).

*** وقوله: (والآل)**

الآل هم: الأتباع والأقارب.

وقد اُختلف في آل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على أقوال:

- فقيل هم: الذين تحرم عليهم الصدقة، كبني هاشم، وبني المطلب.
- وقيل أن آل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هم: ذرّيته وأزواجه خاصة.
- وقيل آل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هم: أتباعه إلى يوم القيامة.
- وقيل آل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هم: الأتقياء من أمّته.

*** وقوله: (جمعا)**

- يعني أنّه: يصلّي عليهم جميعا، من غير استثناء.

* وقوله: (مسلّما)

- يعني: من السلام، والمقصود: الجمع بين الصلاة، والسلام كما في قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٥٦﴾ [سورة الأحزاب: آية ٥٦].

■ ومعنى البيت:

٢ - وأُهدِي صَلاةً تَسْتَمِرَّ عَلَى الرِّضَى ... وَأَصْحَابِهِ وَالآل جَمْعًا مُسَلِّمَا

أي أبعث بالدعاء بالخير الكثير، للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعوات مستمرة لا تنقطع له، ولأصحابه الكرام، ولمن تبعه من أمّته إلى يوم القيامة، والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع بين الصلاة والسلام.

وقد جاء في الحديث عن ابن أبي ليلى قال: (لَقِيَنِي كَعْبُ بنُ عُجْرَةَ، فَقالَ: ألَا أُهْدِي لكَ هَدِيَّةً خَرَجَ عَلَيْنَا رَسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقُلْنَا: قدْ عَرَفْنَا كيفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكيفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قالَ: قُولوا اللَّهُمَّ صَلِّ علَى مُحَمَّدٍ، وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ علَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ علَى مُحَمَّدٍ وعلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كما بَارَكْتَ علَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)[١].

❋❋❋

(١) صحيح مسلم (٤٠٦).

■ قال الناظم:

٣ -كما دلَّنا فِي الْوَحْيِ والسَّنَنِ الَّتِي أَتَانَا بِهَا نَحْوَ الرَّشَادِ وعَلَّمَا

* قوله: (كما دلّنا)

- كما بمعنى: لأجل ما، فهي تعليلية.
- ودلّنا: الضمير يعود على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.
- ودلّنا من الدلالة والإرشاد.

كما في قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [سورة البقرة: آية ١٩٨]

يعني واذكروه لأجل أنّه هداكم.

* وقوله: (في الوحي)

- الوحي لغة هو: الإعلام السريع الخفي.
- وفي الشرع هو: إعلام الله أنبياءه، بما يريد أن يبلّغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة.

وهنا مسألة: ما هي أنواع الوحي؟

الوحي ثلاثة مراتب:

* المرتبة الأولى: الوحي المجرّد وهو: ما يقذفه الله في قلب الموحى إليه ممّا أراد بحيث لا يشك أنّه من الله.
* المرتبة الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة، كتكليم الله لموسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ.



* المرتبة الثالثة: الوحي بواسطة الملك والموكّل بالوحي هو: جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

○ والمقصود بالوحي هنا هو: القرآن الكريم.

*** وقوله: (والسُّنن)**

○ المقصود بالسُّنن أي: سنّة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي هي: تفسير وبيان وشرح وإيضاح للقرآن الكريم.

○ والسنّة النبوية وحي كالقرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم: ٣-٤].

وهنا فائدة:

○ قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [سورة النساء: آية ١١٣]، ذكر المفسرون (أنّ الحكمة إذا قُرنت مع الكتاب في مقام الإنزال فالمراد بها السّنة) وهذا دليل على حُجّية السّنة، وأنّها وحي من الله عَزَّوَجَلَّ.

*** وقوله: (أتانا بها)**

○ أي بالأحاديث، التي أتى بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد جاء في الحديث (ألا إنّي أوتيتُ القرآنَ ومثلَهُ معه)[1] أي السّنة.

*** وقوله: (نحو الرشاد)**

○ الرشاد من الرشد، والرشد ضد الغي.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٧٤) مطولًا واللفظ له، وأخرجه أبو داود (٤٦٠٤) مطولًا باختلاف يسير

○ والمقصود: الهدى والاستقامة والسّير في طريق الحق.

* وقوله: (وعلّما)

○ أي ما ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خيرا إلاّ دلّنا عليه، ولا شرا إلاّ حذّرنا منه.

○ وفي الحديث عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قدْ علَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شيءٍ حتَّى الخِراءَةَ قالَ: فقالَ: أجَلْ لقَدْ نَهانا أنْ نَسْتَقْبِلَ القِبْلَةَ لِغائِطٍ، أوْ بَوْلٍ، أوْ أنْ نَسْتَنْجِيَ باليَمِينِ، أوْ أنْ نَسْتَنْجِيَ بأَقَلَّ مِن ثَلاثَةِ أحْجارٍ، أوْ أنْ نَسْتَنْجِيَ برَجِيعٍ، أوْ بعَظْمٍ)[1].

■ ومعنى البيت:

٣ -كما دلّنا في الْوَحْي والسّنَنِ الّتِي أَتَانَا بِهَا نَحْوَ الرَّشَادِ وعَلَّمَا

○ أننّا نُصلّي ونُسلّم عليه، لأنّه دلّنا وعلّمنا، بما أوحى الله به عليه، من القرآن والسّنة، وقد بلّغنا، وأرشدنا، وشرع لنا كلّ ما فيه صلاحنا، وهدايتنا، وسعادتنا وكان بأمّته شفيقا رحيما، ونُشهد الله أنّه بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة وجاهد في الله حقّ جهاده، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

❊❊❊

(١) أخرجه الترمذي (١٦) واللفظ له، وأبو داود (٧) باختلاف يسير، وابن ماجة (٣١٦) بنحوه.

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤ -أَزَالَ بِهَا الأَغْلَاف عَنْ قَلْبِ حَائِرٍ وَفَـتَّـحَ آذانًـا أُصِـمَّـتْ وَأَحْـكَـمَا

*** قوله: (أزال بها)**

○ الإزالة هي: النقل.

○ وأزال في اللغة لها معان كثيرة منها: أذهب، ومحى، وكشف، وأبعد.

*** وقوله: (الأغلاف)**

○ الأغـلاف جمع غلاف، والغلاف هو: الغشـاء والغطـاء، الذي يحيط بالقلب، ويمنع عنه الإدراك والتمييز.

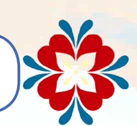
*** وقوله: (عن قلب حائر)**

○ القلـب الحائـر هو: القلب الـذي حُجبت عنه أنوار النبـوة، ومصابيح الشريعة.

○ والحائـر هو: المـتردّد المضطرب والحيـران، الـذي لا يعرف طريق الحق، ولا يهتدي إليه.

*** وقوله: (وفتح آذانا)**

○ يعني كانت هذه الآذان مغلقة، أصابها الصمم لا تسمع خيرا، ولا تُبصر برا.



وهنا مسألة : ما الفرق بين آذان بالمد وأذان بالهمز؟

الجواب:

- آذان بالمد هي: جمع أُذن وهو: عضو السمع.
- وأمّا أذان الثانية معناها: الإعلام.
- فنقول: أذان العصر ولا نقول آذان العصر.

* وقوله: (أصمّت)

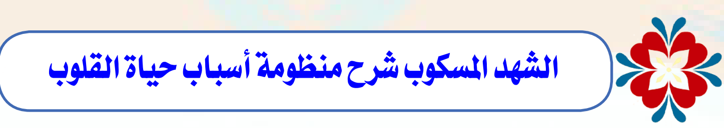
- أصمّت من الصمم، والصم هو: فقدان حاسة السمع.
- يقال: فلان به صمم يسمع، ولا يهتدي بما يسمع.

وهنا فائدة:

- الأصم هو: الذي فقد حاسة السمع.
- والأبكم هو: الذي فقد حاسة الكلام.
- والأعمى هو: الذي فقد حاسة النظر.

* وقوله: (وأُحكم)

- أحكم من الإحكام وهو: الضبط والإتقان.

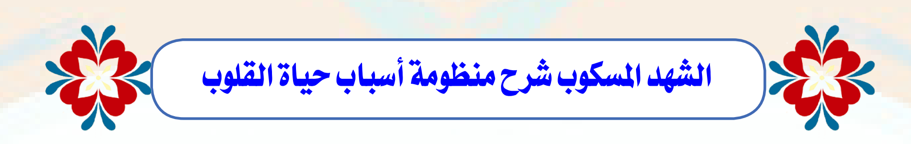


■ **ومعنى البيت:**

٤ -أَزَالَ بِهَا الأَغْلَاف عَنْ قَلْبِ حَائِرٍ وَفَتَّحَ آذانًا أُصِمَّتْ وَأَحْكَمَا

أنّ الناس قبل البعثة كانوا في ضلال وعمى، وكانت قلوبهم في شك، وفي ريب وفي جهل، وكانوا حيارى لا يهتدون سبيلا، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الفرقان: آية ٤٤]، فلمّا كانت بِعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نورًا وهدًى ورحمة، أزال الله بها الظلام، والضلال، والشقاء فكشف الله به الغمّة، وأزال الغشاوة عن القلوب القاسية، فأقبلت القلوب إليه، بعدما كانت حائرة، تائهة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠٣]، فهدانا اللهُ وأنقذنا، وأنجانا، ووفّقنا لاتّباع نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهدى به اللهُ أعينًا عُميًا لا تُبصِرُ الحق، وآذانًا صُمًّا لا تسمعُ دعوةَ الحق، وقلوبًا غُلفًا غطّتها ظلمة الشرك، فكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سببا في هداية النّاس إلى الإسلام، وتعريفهم بدين الله عَزَّوَجَلَّ.

❋❋❋



■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٥ -فيـا أَيُّهَـا البَاغِـي اسـتنَارَةَ قَلبِـهِ تَدَبَّـرْ كِلَا الوَحْيَيـنِ وانْقَـدْ وَسَـلِّمَا

*** قوله: (فيا أيها)**

○ هذا نداء، والنداء أسلوب عربي معروف، وهو موجود في كل اللغات.

*** وقوله: (الباغي)**

○ أي الطالب.

*** وقوله: (استنارة قلبه)**

○ الاستنارة مأخوذة من النور والإضاءة، والمقصود: يا من يريد أن يكون في قلبه نورا وضياء.

*** وقوله: (تدبّر)**

○ التدبّر هو: النظر في عاقبة الأمر، والتفكّر فيه.

*** وقوله: (كلا الوحيين)**

○ المقصود بالوحيين: القرآن الكريم، والسّنة النبوية .

*** وقوله: (وانقد)**

○ الانقياد هو: الاتّباع والإذعان.

*** وقوله: (وسلّما)**

○ وسلّم أي: استسلم وسلّم.

■ **ومعنى البيت:**

٥ -فيا أَيُّهَا البَاغِي استنَارَةَ قَلبِهِ تَدَبَّرْ كِلَا الوَحْيَينِ وانْقَدْ وَسَلِّمَا

هذا نداء لكل من يرغب، أو يطلب استنارة قلبه، وسعادة قلبه، وحياة قلبه، فسبب نور القلب، وسعادة القلب، وحياة القلب، هو تدبّر القرآن والسّنة، فتعلم أنّك مخاطب بكلام الله، فتصغي له، بقلبك وسمعك، وتتأمّله بعين فؤادك، فإذا وعيت من الله قوله، وفهمت مراده، وتشرّب قلبك معاني الكتاب والسّنة، فانهض لامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وانقاد لحكمهما، وسلّم لأخبارهما.

❋❋❋

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٦ -فَعُنْـوانُ إسْـعَادِ الفَتَـى في حَيَاتِـهِ مَـعَ اللهِ إقبـالًا علـيـهِ مُـعَـظَّـمَـا

*** قوله: (فعنوان)**

○ العنوان هو: ما يستدل به على غيره.

*** وقوله: (إسعاد)**

○ الإسـعاد مأخوذ من السعادة، والسعادة هي: الشعور بالرضا وطمأنينة النفس.

*** وقوله: (الفتى)**

○ الفتى هو: الشاب أول شبابه بين المراهقة والرجولة.

*** وقوله: (في حياته)**

○ أي في دنياه.

*** وقوله: (مع الله إقبالا عليه)**

○ الإقبال على الله هو: الرجوع والتوبة.

*** وقوله: (معظّما)**

○ أي معظّما لله، وتعظيم الله تعالى هو: أصل العبادة وحقيقتها.

○ قال الله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [سورة الواقعة: آية ٧٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ [سورة نوح: آية ١٣].



■ **ومعنى البيت:**

٦ -فَعُنْـوانُ إِسْـعَادِ الفَتَـى فِي حَيَاتِـهِ مَـعَ اللهِ إِقْبــالًا عـليـهِ مُـعَـظَّـمَـا

○ أي أن سعادة المرء في هذه الحياة، لا تكون إلاّ في الإقبال على الله، وفي تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، لأن الإقبال على الله والرغبة فيما عنده، من أسباب صلاح القلوب، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل: آية ٩٧].

قال الشاعر:

ولست أرى السَّعَادَةَ جَمْعُ مَالٍ وَلَـكِـنَّ الـتَّـقِـيَّ هـو السـعيـد

❋❋❋

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٧ -وَفَاقِـدُ ذَا لا شَـكَّ قَدْ مَـاتَ قَلْبُهُ   أَو اعْتَـلَّ بالأمْـراضِ كالرِّينِ والعمَى

❋ قوله: (وفاقد ذا)

- ○ فقد الشيء أي: ضاع منه، وغاب عنه.
- ○ يقال: فقد كلّ ماله أي: خسره وعدمه.
- ○ وذا: اسم إشارة، والمشار إليه استنارة القلب.

❋ وقوله: (لا شك)

- ○ أي أنّ الأمر أكيد لا يقبل الارتياب.

❋ وقوله: (قد مات قلبه)

- ○ أي أن من فقد نور الوحيين فقد مات قلبه.

❋ وقوله: (أو)

- ○ أو: حرف عطف، يفيد التخيير.
- ○ مثال: سافر بالقطار أو بالسيارة.

❋ وقوله: (اعتل بالأمراض)

- ○ أي أصيـب بالأمراض، والمرض: حالة غير طبيعية تصيب الجسـد أو العقل.



* وقوله: (كالرين والعمى)

- هذه أنواع الأمراض التي تصيب القلوب، وهي أمراض معنوية.
- الرين هو: أن يسودّ القلب من الذنوب . قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المطففين: آية ١٤].
- العمى هو: عمى البصر لا عمى البصيرة، لأنّ الرجل لو كان أعمى البصر وصلُحت بصيرته، لما ضرّه ذلك شيئا.
- قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحج: آية ٤٦].

■ ومعنى البيت:

٧ - وَفَاقِدُ ذَا لا شَكَّ قَدْ مَاتَ قَلْبُهُ   أَو اعْتَلَّ بالأَمْراضِ كالرِّينِ والعمَى

- أنّ من فقد نور الكتاب والسّنة، فهو أحد قلبين إمّا أنّه قلب ميت، ومن صفات هذا القلب الميت أنّه بعيد عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يتذكر بالآيات، ولا يتأثر بالعظات ولا يستجيب للمأمورات.
- وإمّا أن يكون مريض القلب، مصاب بالأمراض المعنوية، كالرين والعمى، ومن صفات هذا القلب، الغفلة والذنوب والمعاصي، وهذا النوع له علاج وعلاجه الرجوع والتوبة والانكسار بين يدي الله، وكثرة التضرّع والدعاء.

❋❋❋

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٨ -وآيـةً سُقْمٍ في الـجَـوَارِحِ مَنْعُهَا   مَـنَـافِـعَـهَـا أو نَـقْـصُ ذَلـك مِثْلَمَا

* قوله: (وآية)

○ الآية يعني: العلامة.

* وقوله: (سقم)

○ السقم هو: المرض.

○ والسقيم هو: المريض الذي طال مرضه.

* وقوله: (في الجوارح)

○ الجوارح هي: أعضاء الإنسان التي يكتسب بها كيديه ورجليه .

○ قال الله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [سورة الأنعام: آية ٦٠]، أَيْ مَا كَسَبْتُمْ،.

* وقوله: (منعها)

○ المنع ضد الإعطاء . تقول العرب: مَنَعَهُ الْأَكْلُ حَرَمَهُ إِيَّاه.

* وقوله: (منافعها)

○ المنافع مفرد منفعة، والمنفعة هي: الفائدة والربح.

* وقوله: (أو نقص ذلك مثلما)

○ يعني: يكون فيه نفع في الجوارح، ولكن منافع ناقصة.

■ **ومعنى البيت:**

٨ -وآيـةً سُقْمٍ في الـجَـوَارِحِ مَنْعُهَا   مَـنَـافِـعَـهَـا أو نَـقْـصُ ذَلـكَ مِثْلَمَا

○ أنّ علامة المرض في الجوارح هو منعها من منافعها، يعني أنّ اللسـان هـذه الجارحـة الصغيرة لا ينتفع منهـا صاحبها بل تكـون وبالا عليه، وكذلـك البصر فـلا يُبصر إلاّ ما حرّم الله، وكذلك السـمع فلا يسـمع إلاّ مـا حرّم الله، وهكذا في جميع الجوارح لا ينتفع منها، أو ينتفع منها ولكن نفع فيه نقص، فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيَّن في هذا البيت أنّ علامة مرض الجوارح، إمّا زوال المنفعة، أو قصور في المنفعة .

❊❊❊

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٩ -وَصِحتُهـا تُـدري بِإتْيَـان نَفْعِهَـا   كنُطْقِ وَبَـطْشٍ وَالـتَّـصَـرُّفِ والنَّمَا

* قوله: (وصحّتها)

○ الصّحة في اللغة: السلامة من المرض.

○ والضمير هنا يعود على: الجوارح، والمقصود: صحّة الجوارح.

* وقوله: (تُدرِي)

○ تُدرى يعني تُعرف.

* وقوله: (بإتيان نفعها)

○ يعني باستعمالها فيما خُلِقت له.

* وقوله: (كنُطقِ)

○ الـكافُ للتشـبيه، والنُطق خاصٌ باللسـان، فمن علامة صحّة اللسـان النُطق بالخير والكلام الطيب، كالذكر، والتوحيد وغيره.

* وقوله: (وبطش)

○ البطش خاصٌ باليد، فهو يفعل بيده ما يريد بيسرٍ وسهولة.

* وقوله: (والتصرف والنّما)

○ النّماء هو: الزيادة والطهارة.

○ والمقصود: أنّ نمو هذه الجوارح يدلّ على سلامتها من العلل.

■ **ومعنى البيت:**

٩ -وَصِحتُها تُدري بِإتْيان نَفْعِها كنُطْقٍ وَبَطْشٍ وَالتَّصَرُّفِ والنَّمَا

○ أنّ صحّة هذه الجوارح باستعمالها فيما يرضي الله تعالى، فالجوارح النافعة السليمة هي التي تمتثل أوامر الله، وتجتنب نواهيه، والجوارح الضارة السقيمة هي التي تفعل ما حرّم الله، وتترك ما أمر الله به، فعلامة الجوارح الصحيحة السليمة التّصرف فيما يرضي الله تعالى، وهذه الجوارح تنمو وتزيد إذا كانت في طاعة الله، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [سورة محمد: آية ١٧].

❊❊❊

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

١٠ -وَعَيْنُ امْتِرَاضِ الْقَلْبِ فقدُ الذي لَهُ أُرِيْـدَ مِن الإخْلاصِ والحُـبِّ فاعْلَمَا

❋ قوله: (وعين)

○ عين الشيء أصله وأساسه.

❋ وقوله: (امتراض القلب)

○ امتراض القلب هو: وقوع هذا القلب في المرض.

❋ وقوله: (فقد الذي له أريد)

يعني غياب الذي خُلق القلب من أجله.

❋ وقوله: (من الإخلاص)

○ الإخلاص أصله الصفاء والنقاء.

○ والإخـلاص هو: أن يعمل العمـل متقربًا به إلى الله وحده لا رياء، ولا سـمعة، ولا طلبا للدنيـا، ولا تصنعًا للخلق، وإنّمـا يرجو به ثواب الله تعالى، ويخشى عقابه ويطمع في مرضاته.

○ وقيل: الإخلاص صدق النية مع الله.

○ وقيل: حقيقة الإخلاص إفراد الحق بالقصد.

○ والمخلص هو: الذي يستوي عنده المدح والذم.

وهنا مسألة: ما حكم الإخلاص؟

- الجواب: فرض واجب على كل مسلم ومسلمة.
- والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [سورة البينة: آية ٥].

وهنا فائدة:

شروط قبول العمل شرطان:

- الشرط الأول: الإخلاص.
- الشرط الثاني: المتابعة.

* وقوله: (والحب)

- الحبّ هو: ميل النفس مع العقل.
- والمقصود هو: حب الله عَزَّوَجَلَّ.

وهنا فائدة:

أركان العبادة ثلاثة:

١. المحبة.
٢. والرجاء.
٣. والخوف .

* وقوله: (فاعلما)

- اعلم هذا فعل أمر مبني على السكون.

- وهـذه الكلمة يؤتى بهـا للتنبيه على أمر مهم . قـال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة محمد: آية ١٩].

■ ومعنى البيت:

١٠ - وَعَيْنُ امْتِرَاضِ الْقَلْبِ فقدُ الذي لَهُ   أُرِيْـدَ مِن الإِخْلاصِ والحُـبِّ فاعْلَمَا

- أنّ أصـل أمـراض القلـوب وأشـدّها فتـكًا، وأكثرها ضررا هـو (فقد الإخـلاص والمحبة) لأنّ القلـوب ما خُلقت إلاّ لطاعـة الله ومحبته، فحيـاة القلـوب وصلاحها بالحـبّ والإخلاص لله، وموتها وفسـادها خلوّها من الحبّ والإخلاص.
- قـال الله تعالـى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٦٥].
- وقال تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سـورة المائدة: آية ٥٤].

❋❋❋

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

١١ -وَمَعْرِفَةٍ شَوْقٍ إليه إنابَةٍ بِـإيْثَارِ ذا دُونَ المحَبَّاتِ فَاحْكُمَا

*** قوله: (ومعرفة)**

معرفة الله تعالى نوعان:

- النوع الأول: معرفة إقرار، وهذه يشترك فيها جميع الخلق.
- النوع الثاني: ومعرفة حبّ وتعظيم وإجلال، وهذه حقيقة الإيمان، وهي المقصودة في هذا البيت.

وهنا مسألة: كيف نعرف الله حق معرفته؟

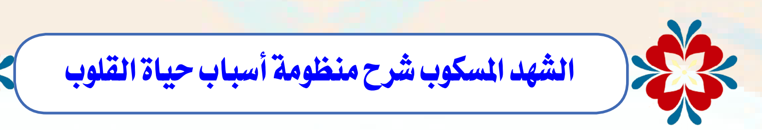
الجواب: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الفوائد: الربّ تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته عن طريقين:

- الأول: النظر في مفعولاته.
- والثاني: التفكّر في آياته وتدبّرها، فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة .أهـ.

*** وقوله: (شوق إليه)**

- الشوق إلى الله عَزَّوَجَلَّ هو: ثمرة المحبة فمن أحبّ الله تعالى اشتاق إليه، وقد جاء في الحديث **(اللهمَّ إني أسألُك لذّةَ النظرِ إلى وجهِك، والشوقَ إلى لقائِك من غيرِ ضراءَ مُضِرَّةٍ، ولا فتنةٍ مضلةٍ)**[١].

(١) أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وأحمد (١٨٣٥١) مطولًا.



- فأعظم نعيمٍ في الدنيا الشوق إلى الله، وأعظم نعيم في الآخرة النظر إلى الله.

* وقوله: (إنابة)

- الإنابة هي: الإقبال والرجوع.
- واصطلاحًا هي: رجوع عن كل شيءٍ ممّا سوى الله، والإقبال عليه بالسرور والقول والفعل، حتّى يكون دائما في ذكره وطاعته، فهي غاية درجات التوبة وأعلى مراتبها.
- قال الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [سورة الزمر: آية ٥٤].
- وقال تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ [سورة الممتحنة: آية ٤].

وهنا مسألة: ما الفرق بين التوبة والإنابة؟

الجواب:

- التوبة هي: الرجوع بعد الذنب.
- والإنابة هي: الرجوع إلى الله بذنب أو بغيره.
- والله جَلَّ وَعَلَا وصف أنبياءه بالإنابة.
- قال تعالى ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [سورة هود: آية ٧٥].
- وقال تعالى ﴿وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ٢٤﴾ [سورة ص: آية ٢٤].
- وقال تعالى ﴿وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا﴾ [سورة الممتحنة: آية ٤].

* وقوله: (بإيثار)

○ الإيثار في اللغة: التقديم والتفضيل. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [سورة يوسف: آية ٩١]، أي فضّلك الله علينا.

○ وشرعًا هو: تقديم الغير على النفس، وحظوظها الدنيوية، رغبة في الحظوظ الدينية.

○ ولقد أثنى الله تعالى على أصحاب نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر: آية ٩].

* وقوله: (ذا)

○ ذا: اسم إشارة، والمشار إليه هو: المحبّة والمعرفة والشوق والإنابة.

* وقوله: (دون المحبّات)

○ المقصود أن تقدّم محبّة الله على محابك، عند غلبات الهوى، فإذا عُرِضَ عليك أمران أمرٌ فيه محبّة الله عَزَّوَجَلَّ، وأمرٌ فيه حظّ نفسك، فتبدأ بحقّ الله عَزَّوَجَلَّ قبل حقوقك.

* وقوله: (فاحكمَا)

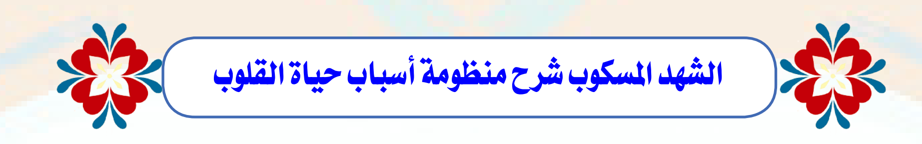
○ يعني: احكم على القلب الصحيح، إذا قدّم محبّة الله ومرضاته، على جميع المحاب، واحكم على القلب المريض، إذا فقد هذه الأشياء: الحبّ والإخلاص والإيثار والإنابة.

■ **ومعنى البيت:**

١١ -وَمَعْرِفَةٍ شَوْقٍ إليه إنابَةٍ   بِـ إيْثَارِ ذا دُونَ المُحَبَّاتِ فَاحْكُمَا

○ أنّك إن وجدت قلبك يمتلئ محبة وإخلاصا وشوقا إلى الله، وتشعر بالإخبات والإنابة وتقدّم محبّة الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع محبوباتك، فإنّك تستطيع أن تحكم على صحّة قلبك، وصدق محبّتك، فإنّ من الأسباب الجالبة لمحبّة الله عَزَّوَجَلَّ إيثار محاب الله على محاب النفس.

❋❋❋



■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٢ - وَمُوثِرُ مَحْبُوبٍ سِوَى اللهِ قَلْبُهُ ... مَرِيْضٌ على جُرْفٍ مِنَ الموْتِ والعَمَى

❊ قوله: (ومؤثر محبوب)

○ يعني من يؤثر ويقدّم محبوباته.

❊ وقوله: (سوى الله)

○ أي يقدّم محبّته على ما يحبّه الله.

❊ وقوله: (قلبه مريض)

○ القلب المريض هو: الذي يؤثر محبّة غير الله على محبّة الله عَزَّوَجَلَّ.

❊ وقوله: (على جرف)

○ الجرف هو: شق الوادي الذي حُفر.

○ وقيل: الهاوية.

○ قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة التوبة: آية ١٠٩].

❊ وقوله: (من الموت والعمى)

○ المقصود: أنّ من قدّمَ محبّة غير الله على محبّة الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا من أسباب موت القلب، فإمّا يموت القلب، أو يصيبه العمى.

■ **ومعنى البيت:**

١٢ -وَمُوثِرُ مَحْبُوبٍ سِوَى اللهِ قَلْبُهُ مَرِيْضٌ على جُرْفٍ مِنَ الموْتِ والعَمَى

○ أنّ مـن كان يقـدّم محبتّه على محبّـة الله، أو حُكم غيـر الله على حُكم الله، فهـذه علامة على مرض قلبه، وأنّه علـى خطر عظيم، وقريب من الهلاك، فكلّ من يؤثر غير الله على الله، فليعلم أنّ هذا من أعظم أسباب موت القلب، ضلاله وعماه.

❊❊❊

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

١٣ -وَأَعْظَمُ مَحْذُورٍ خَفَا مَوْتِ قَلْبِهِ عَلَيْهِ لِشُغْلٍ عَنْ دَوَاهُ بِضِدٍّ مَا

❋ قوله: (وأعظم محذور)

○ أي أعظم أمر يحذر منه الإنسان.

❋ وقوله: (خفا موت قلبه عليه)

○ أي غاب عنه، أنّ قلبه ميت، ولم يشعر به.

❋ وقوله: (لشغل عن دواه)

○ أي أنّه لا يشتغل بعلاج قلبه وإصلاحه.

❋ وقوله: (بضد ما)

○ المقصود أنّه اشتغل بما لا ينفع، وغفل عن موت قلبه وعلاجه.

■ **ومعنى البيت:**

١٣ -وَأَعْظَمُ مَحْذُورٍ خَفَا مَوْتِ قَلْبِهِ عَلَيْهِ لِشُغْلٍ عَنْ دَوَاهُ بِضِدٍّ مَا

○ أنّ من أعظم المصائب ! عدم الشعور بموت القلب!

○ قال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ضُرب عبد بعقوبةٍ، أعظم من قسوة قلبه، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾ [سورة المائدة: آية ١٣].

○ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنّذر.



○ وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القَلْبُ)[1].

وجاء عن محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ أنّه قال: أربعة يُمتن القلب:

١. الذنب على الذنب.

٢. وكثرة مخالطة النساء.

٣. وملاحات الأحمق، تقول له ويقول لك.

٤. ومجالسة الموتى.

فأعظم محذور يخفى على الإنسان هو موت القلب، وانشغاله بغير علاجه.

❊❊❊

(١) صحيح البخاري (٥٢).

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤ - وآيـة ذا هـون القبائح عنده ولـــولاه أضحـى نـادمـا متـألّـما

* قوله: (وآية ذا)

○ أي علامة موت القلب.

* وقوله: (هون القبائح عنده)

○ القبحُ ضدّ الحسن، وهو عام في كل شيء في الأقوال والأفعال، فهو كل ما ينفر منه الإنسان، من الأعمال المشينة المهينة المخجلة.

○ والمقصود أن تكون القبائح هيّنة طبيعية.

* وقوله: (عنده)

○ أي عند صاحب القلب الميت.

* وقوله: (ولولاه)

○ يعني لولا خفاء موت قلبه.

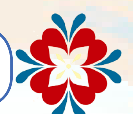
* وقوله: (أضحى)

○ بمعنى صار.

* وقوله: (نادما متألّما)

○ الندم هو: شدّة الحزن. وهو من شروط التوبة.

○ والألم هو: الشعور بالقلق وعدم الراحة.



- وقيل الألم هو: الوجع الشديد.

■ **ومعنى البيت:**

١٤ - وآيـة ذا هـون القبائح عنده ولــولاه أضحـى نـادمـا متـألّـما

- أي أنّ من العلامات التي تدلّ على موت القلب هي: التهاون بالقبائح، والتساهل بارتكاب الذنوب والمعاصي، فلا يتمعّر وجهه للمنكرات، ولا يُنكر في قلبه، ولا يخاف من فعل الفواحش والمنكرات، ولو كان قلبه سليمًا صحيحًا، لأضحى أي صار نادمًا متألمًا، وهذا حال المؤمن مع المعصية، تجده نادمًا متألمًا منكسرًا، ولكن صاحب القلب الميت بعكس هذا كلّه.
- وقد جاء في الحديث (إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئةً نُكِتت في قلبِهِ نُكْتةٌ سوداءُ، فإذا هوَ نزعَ واستغفرَ وتابَ سُقِلَ قلبُهُ، وإن عادَ زيدَ فيها حتَّى تعلوَ قلبَهُ، وهوَ الرَّانُ الَّذي ذكرَ الله ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾)[1].



(١) صحيح الترمذي (٣٣٣٤) خلاصة حكم المحدث: حسن

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

١٥ -فقد عاشَ بالجهلِ المركبِ راضيًا   حليفَ الجفا أضحى عليهِ مُصَمِّمَا

*** قوله: (فقد عاش)**

○ أي صاحب القلب الميت.

*** قوله: (بالجهل المركّب)**

الجهل هو: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع.

وينقسم إلى قسمين:

○ القسم الأول: الجهل البسيط وهو: عدم المعرفة بالشيء.

○ القسم الثاني: الجهل المركب وهو: عدم المعرفة بالشيء مع عدم المعرفة بعدم المعرفة.

*** وقوله: (راضيا)**

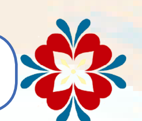
○ الرضا هو: الركون إلى الشيء وعدم النفرة منه.

*** وقوله: (حليف الجفا)**

○ أي بينه وبين الجفا ارتباط وثيق.

○ وقيل: من يلزمه ولا يفارقه في كل الحالات.

○ والجفا مأخوذ من: الغلظة والقسوة والإساءة.



* وقوله: (أضحى)

○ أي أصبح أو صار.

* وقوله: (عليه مصممّا)

○ أي على موت قلبه مضى فيه، غير مصغ إلى النصيحة.

■ **ومعنى البيت:**

١٥ -فقد عاشَ بالجهلِ المركبِ راضيًا حليفَ الجفا أضحى عليهِ مُصَمِّمَا

○ أنّ صاحب القلب الميت، يعيش في ضلال وعمى، ويظن أنّه على خير، ولو سألته كيف حالك؟ لقال لك: أنا على أحسن حال، وهو في أسوأ الأحوال، بسبب أنّه لا يشعر بموت قلبه، فهو يرى المنكر معروفا، ويرى المعروف منكرا، انقلبت عنده الموازين.

○ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تُعرَضُ الفِتَنُ على القُلوبِ عَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ سَوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنْكَرَها نُكِتَتْ فيه نُكتةٌ بيضاءُ، حتى يصِيرَ القلبُ أبيضَ مثلَ الصَّفا، لا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ، والآخَرُ أسودَ مُربَدًّا كالكُوزِ مُجَخِّيًا، لا يَعرِفُ مَعروفًا، ولا يُنكِرُ مُنكَرًا، إلا ما أُشْرِبَ من هَواه)[1].

❋❋❋

(١) أخرجه مسلم (٢٣١) والبزار (٢٨٤٤) بنحوه مطولا، وأحمد (٢٣٢٨٠) بنحوه

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

١٦ -فَجَامِعُ أمْراضٍ القلوبِ اتِّباعُهَا هَواهَـا فخَالِفَهـا تَصِـحَّ وَتَسْـلَمَا

* **قوله: (فجامع أمراض القلوب)**

○ يعني الشيء الجامع الذي يجمع أمراض القلوب.

* **وقوله: (اتّباعها هواها)**

○ الهوى لغة هو: الميل والعدول والنزوع إلى ما تهواه النفس.

○ واصطلاحا هو: الميل عن طريق الحق، وعن طريق السنّة، ويشمل هوى الاعتقاد، وهوى العمل، وهوى الشبهات، وهوى الشهوات.

وهنا فائدة:

قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: أصل داء القلوب في مرضين اثنين:

١. الجهل.

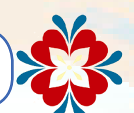
٢. والهوى.

* **وقوله: (فخالفها)**

○ أي خالف هوى نفسك.

* **وقوله: (تصح وتسلما)**

○ أي يصبح قلبك صحيحا سليمًا.



■ **ومعنى البيت:**

١٦ -فَجَامِعُ أمْراضِ القلوبِ اتِّباعُهَا هَواهَا فخَالِفَها تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

- أنّ جماع أمراض القلوب، والذي كلّ علّة ترجع إليه هو: اتّباع الهوى، وقد ذمّ الله اتّباع الهوى في مواضع كثيرة في كتابه.
- قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الجاثية: آية ٢٣].
- وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة القصص: آية ٥٠].
- والإنسان إذا عرف ربّه حقّ المعرفة، أحبّه وعبده وذلّ له، فإذا جاءته الأهواء نهى نفسه عنها، واعتصم بالله.
- قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النازعات: آية ٤٠].
- وهذا هو حال القلب الصحيح السليم، بعيدًا عن الأهواء والشّبه والفتن.

❊❊❊

■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٧ -وَمِن شُؤْمِهِ تَرْكُ اغتِذَاءٍ بِنَافِعٍ وَتَرْكُ الدَّوا الشَّافِي، وَعَجْزٌ كِلَاهُمَا

*** قوله: (ومن شُؤمه)**

○ أي من شُؤم اتّباع الهوى.

○ والشُؤم هو: الشر والمكروه، وهو خلاف اليُمن والبركة والفأل.

*** وقوله: (ترك اغتذاء بنافع)**

○ أي أنّ اتّباع الهوى، يمنع الإنسان من أن يتغذّى بما ينفع قلبه، كمحبّة الله ورسوله والأعمال الصالحة، والبعد عن المحرّمات، فكل هذه غذاء للقلوب.

*** وقوله: (وَتَرْكُ الدَّوَاء الشَّافِي)**

○ أي من شؤم اتّباع الهوى أيضًا أن يترك الدواء الشافي، الذي يعالج فيه أمراض القلوب.

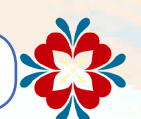
*** وقوله: (وَعَجْزٌ كِلاهُمَا)**

○ أي وَيَصْحَبُ ذَلِكَ كُلَّهُ العَجْزُ.

○ والعجز هو: ترك ما يجب فعله، أو عدم القدرة عليه.

○ وقد جاء في الحديث قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ)[1].

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦)



وهنا مسألة: ما الفرق بين العجز والكسل؟

الجواب:

- العجز هو: ترك الشيء لعدم القدرة عليه.
- والكسل هو: ترك الشيء مع القدرة عليه.
- وقيل العجز هو: ضعف في الإرادة.
- والكسل هو: ضعف في الجسم.

■ **ومعنى البيت:**

١٧ -وَمِن شُؤْمِهِ تَرْكُ اغتِذَاءٍ بِنَافِعٍ وَتَرْكُ الدَّوا الشَافِي، وَعَجْزٌ كِلَاهُمَا

- هـذا البيت آخر بيت في علامات أمراض القلوب، ومن أعظم أسـباب الهلاك ترك الانتفاع من الأغذية والأدوية، لأنّ الإنسان في حياته يحتاج إلى غذاء ودواء، الغذاء ينجيه من الموت، والدواء ينجيه من المرض، والمـوت والمرض أدواء القلوب، فالقلـب الميت، والقلب المريض كلّ واحد منهما لا يتغذى بنافع، ولا يتداوى بشافي، مع ملازمة العجز والكسل.

❊❊❊

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٨ - إذا صَحَّ قَلبُ العَبْدِ بَانَ ارتِحَالُهُ   إِلـى دَارِهِ الأخْـرَى فَـرَاحَ مُسَلّما

* قوله: (إذا صحّ قلب العبد)

○ يعني إذا كان قلبه صحيحا سليما.

* وقوله: (بان ارتحاله)

○ بان أي: ظهر.

○ والارتحال هو: الانتقال من دار إلى دار.

* وقوله: (إلى داره الأخرى)

○ أي إلى الدار الآخرة.

* وقوله: (راح)

○ الرواح في الأصل هو: السير في العشي، ثمّ توسّعوا فيه فصار بمعنى، السير في أي وقت.

* وقوله: (مسلّما)

○ مسلَّما بالفتح أي: أنّه سيسلم من الدنيا إذا انشغل بالآخرة.

○ ومسلِّما بالكسر أي: كأنّه ودّع وسلّم وترك الدنيا وما فيها.

■ **ومعنى البيت:**

١٨ -إذا صَحَّ قَلْبُ العَبْدِ بَانَ ارتِحَالُهُ إِلى دَارِهِ الأُخْرَى فَرَاحَ مُسَلِّما

○ أنّ القلب الصحيح الذي سلم من الأمراض والآفات، واستقام على طاعة الله ورسوله، هو القلب الذي أقبل على الله والدار الآخرة، وكلّما صحّ قلب العبد كلّما قويت رغبته فيما عند الله، وكلّ من أكثر من ذكر الدار الآخرة، أصبح من أهلها وسلم من الدنيا وأهلها، فالقلب الصحيح لا يمكن أن يغفل عن الدار الآخرة، فراحة قلبه وأُنسه وسعادته في الإقبال على الله والدار الآخرة.

○ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ما لي وما للدُّنيا ، ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكبٍ استَظلَّ تحتَ شجرةٍ ثمَّ راحَ وترَكَها)**[1].

○ فهذا القلب السليم، راح ورحل وأقبل على الله والدار الآخرة، وسلم من الدنيا وما فيها.



(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (٣٧٠٩).

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

١٩ -وَمِنْ ذاكَ إحْسَاسُ المُحِبّ لِقَلْبِهِ   بِـضَـرْبٍ وَتَـحْـرِيـكٍ إلـى اللهِ دَائِـمَـا

*** قوله: (ومن ذاك)**

○ أي من علامات صحّة القلب.

*** قوله: (إحساس المحب لقلبه)**

○ أي أنّه يشعر بميل قلبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

*** وقوله: (بضرب وتحريك)**

○ أضاف الحركة إلى القلب، لأنّ الطريق إلى الله، لا يقطع بسير الأقدام، وإنّما بسير القلوب، فالقلوب هي التي تسير إلى الله، ولا يتم السير إلى الله، إلّا مع صحّة القلب.

*** وقوله: (إلى الله دائما)**

○ أي أنّ إقباله وسير قلبه إلى الله دائما لا ينقطع.

○ وقد قال بعض السلف: العارف بالله يسير ولا يقف.

■ **ومعنى البيت:**

١٩ -وَمِنْ ذاكَ إحْسَاسُ المُحِبّ لِقَلْبِهِ   بِـضَـرْبٍ وَتَـحْـرِيـكٍ إلـى اللهِ دَائِـمَـا

○ أنّ من علامات صحّة القلب وسلامته، ميله وانجذابه إلى الله تعالى، فتراه دائما مع الله، في حركاته وفي سكناته وفي خلواته، دائم الاستشعار

والمراقبة لله، لا يرجو إلاّ الله، ولا يخشى إلاّ الله، ولا يأنس إلاّ بالله، ولسان حاله يقول:

فيا ليتك تحلو والحياة مريرة ... ويا ليتك ترضى والأنام غضاب
ويا ليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

❊❊❊

■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٠ -إلى أَنْ يُهَنَّا بِالإِنَابَةِ مُخْبِتًا فَيَسْكُنُ في ذَا مُطْمَئِنًا مُنَعَّمَا

*** قوله: (إلى أن يهنا)**

○ يعني هذه الحركة، وهذا الإحساس، وهذا الميل إلى الله لا ينقطع، بل هو دائم إلى أن يصل إلى مرتبة الإنابة والإخبات.

*** وقوله: (بالإنابة مخبتا)**

○ الإنابة هي: الرجوع إلى الله.

○ والإخبات لغة: مأخوذ من الخبت وهو: المكان المنخفض والمطمئن من الأرض.

○ وفي الاصطلاح هو: الخضوع والتذلل لله عَزَّوَجَلَّ، مع المحبّة والتعظيم.

*** وقوله: (فيسكن في ذا)**

○ المقصود فيسكن في هذه الدنيا.

*** وقوله: (مطمئنًا)**

○ من الطمأنينة والراحة والسكون.

*** وقوله: (منعّما)**

○ أي من النّعيم . والأصل أنّ النّعيم نعيم القلب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [سورة الانفطار: آية ١٣].

○ قال أحد المفسرين: نعيم في الدنيا، ونعيم في البرزخ، ونعيم في الآخرة.

■ **ومعنى البيت:**

٢٠ - إلــى أَنْ يُهَنَّـا بِالإِنَابَــةِ مُخْبِتًــا فَـيَـسْـكُـنُ فِي ذَا مُـطْـمَـئِـنًّا مُنَعَّمَا

- أنّ العبـد لا يجـد راحته، ولا نعيمه، ولا أنسـه إلّا في الإقبال على الله، فإذا صدق إقباله على الله، أثمر ذلك الإقبال الإنابة والإخبات.
- قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل: آية ٩٧].
- فالحياة الطيبة هي: طمأنينة القلب، وسكون النفس، فلا يلتفت إلى ما يشوّش عليه قلبه، فيجد من النّعيم واللّذة في قربه من الله، ما لا يخطر له على بال، ولا يدور له في خيال.



■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢١ -وفيهـا دَوَامُ الذِكْـرِ في كُلِّ حَالَةٍ   يَـرى الأُنْـسَ بالطّاعَـاتِ للهِ مَغْنَمَـا

* **قوله: (وفيها دوام الذّكر في كل حالة)**

○ أي من علامات صحّة القلب، أن تذكر الله في كلّ حال، وفي كلّ وقت، ولما سُـئلت عائشـة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قالت: (كانَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَ علَى كُلِّ أحْيَانِهِ)[١].

* **وقوله: (يرى الأنس)**

○ أي يرى الفرح والبهجة والسرور.

* **وقوله: (بالطاعات لله)**

○ الطاعة هي: الإتيان بما أمر الله به، والانتهاء عمّا نهى الله عنه.

○ وقيل هي: فعل المأمور، وترك المحظور.

* **وقوله: (مغنما)**

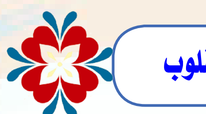
○ أي مكسبا.

■ **ومعنى البيت:**

٢١ -وفيهـا دَوَامُ الذِكْـرِ في كُلِّ حَالَةٍ   يَـرى الأُنْـسَ بالطّاعَـاتِ للهِ مَغْنَمَـا

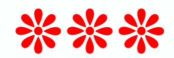
○ أنّ مـن علامات صحّـة القلب، أن تذكـر الله في كلّ وقـت، وعلى كلّ

(١) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (٦٣٤)، وأخرجه موصولًا مسلم (٣٧٣)




حـال، والذكر من أجلّ العبـادات، وأعظم القربات، بـل من أعظم ما يُعين الإنسان على القيام بحقوق الله عَزَّوَجَلَّ هو كثرة ذكر الله.

- وقد جاء في الحديث **(أنَّ رجلًا قال يا رسـولَ اللهِ إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كثُرت عليَّ فأخبِرني بشـيءٍ أتشـبَّثُ به قال : لا يزالُ لسـانُك رطبًا من ذكرِ اللهِ)**[1].



(١) صحيح الترمذي (٣٣٧٥).

■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٢ -وَيَصْحَبُ حُرًّا دَلَّهُ فِي طَرِيقِهِ   وكـان مُـعِـيْـنَـا نـاصـحًـا مُـتِـيَـمِّـمَـا

❊ **قوله: (ويصحب)**

○ يصحب من الصحبة.

○ والصاحب هو: من يلازمك طوال الوقت.

۞ **وهنا مسألة: ما الفرق بين الصاحب والصديق والرفيق؟**

❊ الجواب:

○ الصاحب هو: الملازم لك طوال الوقت.

○ الصديق هو: من يصدق معك في صحبته.

○ والرَّفِيقُ هُوَ: مَنْ يُصَاحِبُكَ فِي السَّفَرِ.

❊ **وَقَوْلُهُ (حُرًّا)**

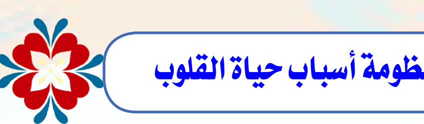
○ أَيْ لَا يَكُونُ هَذَا الصَّدِيقَ عَبْدًا لِلشَّهَوَات.

❊ **وَقَوْلُهُ (دَلَّهُ فِي طَرِيقِهِ)**

○ أَيْ دَلَّهُ عَلَى طَرِيقِ الخَيْرِ وَالرَّشَاد.

❊ **وَقَوْلُهُ (وَكَانَ مُعِينًا)**

○ أَيْ كَانَ بَاذِلًا جُهْدَهُ فِي إِعَانَتِك وصلاحك وهدايتك.



* وقوله: (ناصحا)

○ النصيحة هي: إرادة الخير للمنصوح.

○ والنصح هو: إبانة الخير والدلالة عليه.

* وقوله: (متيمّما)

○ أي متّجها قاصدًا مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ.

■ **ومعنى البيت:**

٢٢ -وَيَصْحَبُ حُرًّا دَلَّهُ في طَرِيقِهِ وكـان مُـعِـيْـنَـا نـاصـحًـا مُـتِـيَـمِّـمَـا

○ ذكر الناظم أنّ من أسباب صلاح القلوب، الصحبة الصالحة، فالصاحب الصالح يعين الإنسان على طاعة ربّه، ويحثّه على الخير، ويدلّه ويرشده، ولابدّ أن يكون هذا الصاحب صادقًا ناصحًا معينًا هاديًا مهديًا، ويحذر الإنسان من أصحاب السوء ويبتعد عنهم، فصاحب السوء مفتاح لكل شر.

○ قال علماء التربية: إيّاك ومجالسة الشّرير، فإنّ طبعك يسرق من طبعه وأنت لا تشعر.

○ قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧﴾ [سورة الفرقان: آية ٢٧].

❋❋❋

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٢٣ -وَمنها إذَا مَا فَاتَه الـوِرْدُ مَـرَّةً   تَــــرَاهُ كَـئِـيْـبًـا نَــادِمًــا مُـتَـألِّـمَـا

*** قوله: (ومنها)**

○ أي من علامات صحّة القلوب.

*** وقوله: (إذا ما فاته)**

○ الفوات هو: ذهاب الشيء من غير تقصير.

*** وقوله: (الورد مرّة)**

○ الورد هو: قدرٌ يجعله الإنسان لنفسه، من القرآن، أو من الأذكار، يُلزم به نفسه في مدّة معلومة.

○ وقيل: الورد يشمل كل ما اشتغل به الإنسان من الأعمال الصالحة.

*** وقوله: (تراه كئيبا)**

○ الكئيب هو: الحزين المهموم، منكسر النفس.

*** وقوله: (نادما متألما)**

○ الندم هو: شدّة الحزن.

○ والألم هو: الوجع.

■ **ومعنى البيت:**

٢٣ -وَمنها إِذَا مَا فَاتَه الـوِرْدُ مَـرَّةً   تَـــرَاهُ كَـئِـيْـبًـا نَــادِمًــا مُـتَـأَلِّـمَـا

○ أنّ مـن علامـات صحّـة القلـب وسـلامته، المحافظـة علـى الأوراد الشـرعية، والاسـتمرار عليهـا، حتّى إذا فاتـه الورد لعـارض أو لغيره يعوّضـه ويقضيه، كما جاء في الحديث (مَن نام عن حِزبِه أو عن شـيءٍ منـه فقـرَأه فيما بينَ صـلاةِ الفجرِ وصـلاةِ الظُّهـرِ كُتِب لـه كأنَّما قرَأه باللَّيلِ)[١].

❋❋❋

(١) أخرجـه مسـلم (٧٤٧)، وأبـو داود (١٣١٣)، والترمـذي (٥٨١)، والنسـائي (١٧٩٠)، وابـن ماجه (١٣٤٣) واللفظ لهم جميعا

■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٢٤ -وَمِنْهَا اشْتِيَاقُ القَلْبِ فِي وَقْت خِدْمَةٍ إِلَيْهَـا كَمُشْـتَدٍّ بـه الجُـوعُ والظَّمَـا

* **قوله: (ومنها)**

○ أي من علامات صحّة القلوب.

* **وقوله: (اشتياق القلب)**

○ الشوق هو: نزوع النفس إلى الشيء وتعلّقها به.

* **وقوله: (في وقت خدمة إليها)**

○ أي أن القلب مشغول بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ في بدنه، وقلبه مقبلا على الله عَزَّوَجَلَّ مشتاقا إليه.

* **وقوله: (كمشتدّ به الجوع والظما)**

○ الكاف للتشبيه أي أنّه مقبل على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، كحال الجائع الذي أقبل على الطعام، والعطشان الذي أقبل على الماء.

■ **ومعنى البيت:**

٢٤ -وَمِنْهَا اشْتِيَاقُ القَلْبِ فِي وَقْت خِدْمَةٍ إِلَيْهَـا كَمُشْـتَدٍّ بـه الجُـوعُ والظَّمَـا

○ أنّ الشوق لله ولطاعة الله من علامات صحة القلوب، فهم يشتاقون إلى الطاعات والأعمال الصالحات، كما يشتاق الجائع للطعام.

○ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [سورة البقرة: آية ١٢٥]، قال مجاهد في تفسير مثابة: لا يقضون منه وطرا، يعني لا يشبعون منه، وهكذا حال المؤمن لا يشبع من الطاعة حتى يكون منتهاه إلى الجنة.

❊❊❊

■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٥ - وَمِنْهَا ذَهَابُ الهَمِّ وَقْتَ صَلَاتِهِ ... بِدُنْيَاهُ مُرتَاحًا بِهَا مُتَنَعِّمَا

*** قوله: (ومنها)**

○ أي من علامات صحة القلوب.

*** وقوله: (ذهاب الهمّ)**

○ أي زواله.

○ والهم هو: كل ما يشغل بال الإنسان ويؤرّق فكره.

*** وقوله: (وقت صلاته)**

○ أي حال وقوفه بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ في الصلاة.

*** وقوله: (بدنياه مرتاحا بها)**

○ المقصود أنّه لا يهتم بشيء من أمور الدنيا، فهو مقبل على صلاته مرتاحا بها، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(أَرِحْنا بها يا بلالُ)**[١].

*** وقوله: (متنعّما)**

○ أي متلذذا متنعّما في صلاته، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(وجُعِلَتْ قرةُ عيني في الصلاةِ)**[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني (٦/ ٢٧٧) (٦٢١٥) واللفظ لهم، وأبو داود (٤٩٨٦)، وأحمد (٢٣١٥٤)، والخطيب البغدادي (١٢/ ٢٠٣) مختصرا.

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٤٠)، وأحمد (١٤٠٣٧) مطولًا

■ **ومعنى البيت:**

٢٥ -وَمِنْهَا ذَهَابُ الهَمِّ وَقْتَ صَلَاتِهِ بِـدُنْـيَـاهُ مُـرتَـاحًـا بِـهـا مُـتَـنَـعِّـمَـا

○ أنّ القلب السليم الصحيح، إذا دخل في صلاته، زالت كلّ همومه وأوجاعه، ويجد نعيمه وأُنسه في الصلاة.

○ قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾ [سورة المؤمنون: الآيات ١-٣].

❊❊❊

■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٦ -وَيَشْتَدُّ عَنْهَا بَعْدَهُ لِخُرُوجِهِ   وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ فَاسْتَمَا

* **قوله: (وَيشتَدُّ عَنْهَا)**

○ أي عن الدنيا.

* **وقوله: (بُعْدُهُ وخُرُوجِه)**

○ أي أنّه يبتعد عن الدنيا، ويخرج منها، إذا وقف بين يدي الله في الصلاة.

* **وقوله: (وَقد زالَ عَنْهُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ)**

○ أي ذَهب همّه وغمّه.

○ والهم هو: الحزن، وَجَمْعُهُ هُمُومٌ يُقَالَ: أَهَمَّهُ الْأَمْرِ أي: أَقْلَقَهُ وَأَحْزَنَه.

○ والغمُّ هو: الكرب، وجمعه غموم.

وهنا فائدة:

○ الهم يكون ممّا سيحصل.

○ والغم يكون من أمر قد حصل.

* **وقوله: (فاستما)**

○ مأخوذ من: السّمو والعلو.

○ والمقصود أنّه: لمّا دخل في صلاته، وارتاح بها، واطمأنّت نفسه، وتنعّم بها سمى بروحه، وارتفع عن هموم الدنيا وغمومها.

■ **ومعنى البيت:**

٢٦ -وَيَشْتَدُّ عَنْهَا بَعدَهُ لِخُرُوجِهِ   وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْهَمُّ وَالْغَمُّ فَاسْتَمَا

○ أنّ المصلي كلّما دخل في صلاته، وصدق في مناجاته، كلّما تبدّدت همومه وغمومه، وسما وعلا بروحه وقلبه، وكلّ من يقبل على الله في صلاته يجد من اللّذات والبركات والرحمات، ما لا يخطر له على بال، ولا يدور له في خيال، والمحروم الذي دخل في صلاته، وقلبه لاه في الدنيا، لا يعرف الخشوع، ولا يشعر بالخضوع، نسأل الله أن يصلح قلوبنا، وأن يرزقنا الخشوع في الصلاة.

❋❋❋

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٧ -فَـأَكْـرِمْ بِـهِ قَلْبًا سَلِيمًا مُقَرَّبَا   إِلَـى اللهِ قَـدْ أَضْـحَـى مُحِبًّا مُتَيَّمَا

* قوله: (فأكرم به قلبا)

○ القلب الكريم هو: القلب السليم الذي امتلأ برًا وإحسانا، وصدقا وإخلاصا.

* وقوله: (سليما)

○ هذه صفة القلب الصحيح السليم، الذي سلم من الآفات والأهواء، ومن الشهوات والشبهات.

* وقوله: (مقرّبا إلى الله)

○ يعني قريبًا من الله، بعيدًا عن الفتن والمحن، يستشعر معيّة الله ورعايته، كما قال الله عن موسى وهارون قال: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة طه: آية ٤٦].

○ فالقلب السليم الصحيح، لا يعرف الغفلة، ولا يركن إلى الدنيا، بل هو مع الله وفي سبيل الله.

* وقوله: (قد أضحى)

○ قد: حرف تحقيق.

○ وأضحى أي: أصبح.

* وقوله: (محبّا)

○ يعني أنّ هذا القلب السليم، أصبح شديد المحبّة لله.

* وقوله: (متيّما)

○ التتيّم هو: الحب الذي يستبد بالقلب، ويستعبده، وهو أعلى مراتب الحبّ.

○ يقال: تيم الله أي: حبيب الله.

■ ومعنى البيت:

٢٧ -فَأَكْرِمْ بِهِ قَلْبًا سَلِيمًا مُقَرَّبَا   إِلَى اللهِ قَدْ أَضْحَى مُحِبًّا مُتَيَّمَا

○ أنّ القلب السليم، بلغ أعلى منازل الكرامة، بسبب صلاحه وتعلّقه بالله، وقد امتلأ خيرًا وبرًا وإحسانًا، فأصبح هذا القلب، قلبًا كريمًا محبًا، معظمًا لله، فقد استحق الكرامة في الدنيا، والفوز والنجاة في الآخرة.

○ قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [سورة الشعراء: الآيات ٨٨-٨٩].

***

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٨ -وَمِنْهَا اِجْتِمَاعُ الْهَمِّ مِنْهُ بِرَبِّهِ بِمَرْضَاتِـهِ يَسْـعَى سَـرِيعًا مُعَظِّمَـا

* قوله: (ومنها)

○ أي من علامات صلاح القلوب.

* وقوله: (اجتماع الهمّ منه بربّه)

○ أي يكون همّه، هو الله والدار الآخرة، فلا يفكّر في غير الله، فكل همّه، كيف يرضي الله عَزَّوَجَلَّ؟

○ وقد جاء في الحديث (من كانت الآخرةُ همَّه، جعل اللهُ غناه في قلبِه، وجمع له شملَه وأتتْه الدُّنيا وهي راغمةٌ ومن كانت الدنيا همَّه جعل اللهُ فقرَه بين عينيَه وفرّق عليه شملَه ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له)[1].

* وقوله: (بمرضاته يسعى سريعا)

هذا حال المؤمن الصادق، يسعى في كلّ ما يرضي الله عَزَّوَجَلَّ، ويدور في مراضيه، وهو سريعا سبّاقا في أبواب الخير.

والسعي له معان في اللغة:

○ فيطلق على العمل.

○ ويطلق على المشي بسرعة.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) واللفظ له، وابن أبي الدنيا في (الزهد) (٣٣٢)، والحارث في (المسند) (١٠٩٢).

○ ويطلق على القصد والطلب.

○ قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [سورة آل عمران: آية ١٣٣].

○ وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [سورة الحديد: آية ٢١].

* وقوله: (معظّما)

○ التعظيم هو: التكبير والإجلال والتبجيل لله عَزَّوَجَلَّ، ولكلّ ما عظّمه الله عَزَّوَجَلَّ.

■ ومعنى البيت:

٢٨ - وَمِنْهَا اِجْتِمَاعُ الْهَمِّ مِنْهُ بِرَبِّهِ ... بِمَرْضَاتِهِ يَسْعَى سَرِيعًا مُعَظِّمَا

○ أنّ من علامات صلاح القلب واستقامته، أن يجمع همّه على مرضاة ربّه، فيكون همّه في هذه الدنيا هو ما يحبّه الله ويرضاه، فيسعى جاهدا في مرضاة الله، ويحرص كلّ الحرص فيما يقرّب إلى الله، وتراه بعيدا عمّا يُسخط الله، وقر تعظيم الله في قلبه، بل أصبح يعظّم كلّ ما عظّم الله.

○ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [سورة الحج: آية ٣٢].

❊❊❊

■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٩ -وَمِنْهَا مُـرَاعَـاةٌ وَشُـحٌّ بِوَقْتِهِ　　　كَمَا شَحَّ ذُو الْمَالِ الْبَخِيلِ مُصَمِّمَا

*** قوله: (ومنها)**

- أي من علامات صلاح القلوب.

*** وقوله: (مراعاة)**

- المقصود بها المحافظة.

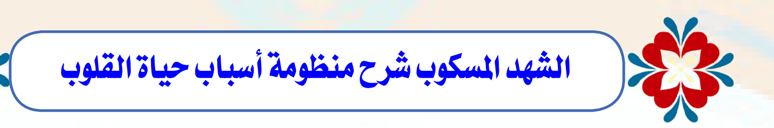
*** وقوله: (وشحّ)**

- الشحّ هو: أشدّ البخل.
- وقيل هو: البخل مع الحرص.

وهنا مسألة: ما الفرق بين الشحّ والبخل؟

الجواب:

- قيل: أنّ البخل هو: منع الواجب.
- والشح هو: منع المستحب.
- وقيل: البخل هو: الامتناع من إخراج ما حصل عندك.
- والشحّ هو: الحرص على تحصيل ما ليس عندك.
- وقيل: البخل: يكون بالمال.
- والشحّ: يكون بالمال والمعروف.



* وقوله: (بوقته)

○ الوقت هو: الحياة، فمن حفظ وقته، حفظ حياته، ومن ضيّع وقته، ضيّع حياته.

* وقوله: (كما شحّ ذو المال)

○ هذا تشبيه بصاحب المال البخيل، لأنّه يحافظ على ماله، ولا يفرّط فيه، فكن على وقتك، كما شحّ ذو المال على ماله.

* وقوله: (البخيل مصمّما)

○ البخيل هو: شديد الإمساك لماله، فإذا كان ضيّق النفس، شديد البخل، حريصًا سمّي شحيحا.

وهنا فائدة:

○ قال العلماء: البخيل يعيش في الدنيا عيشة الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء.

ومعنى البيت:

٢٩ -وَمِنْهَا مُرَاعَاةٌ وَشُحٌّ بِوَقْتِهِ كَمَا شَحَّ ذُو الْمَالِ الْبَخِيلِ مُصَمِّمَا

○ أنّ من علامات صحّة القلوب وصلاحها، أن يكون صاحب القلب الصحيح، حريصًا على وقته، ويبخلُ به كما يبخل الشحيح بماله، وإنّك إذا أردت أن تعرف الرجل العاقل، فإنّك تحكم عليه في تعامله مع وقته، لأنّ العاقل الحصيف لا يفرّط في وقته ولا يضيّعه.

■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٠ -وَمِنْهَا اِهْتِمَامٌ يُثْمِرُ الْحِرْصَ رَغْبَةً   بتصحيح أعمال يكون متمّما

*** قوله: (ومنها)**

- أي من علامات صلاح القلوب.

*** وقوله: (اهتمام)**

- الاهتمام هو: التركيز، والانتباه، والعناية بالأمر.

*** وقوله: (يُثمر الحرص رغبة)**

- أي أنّ نتيجة الاهتمام والعناية، تجعل عند الإنسان رغبة.
- والرغبة هي: ميل النفس إلى الشيء، لاعتقاد نفعه، والمحبّة له.
- ومنه الرغبة إلى الله، وإلى ما عنده من الثواب.
- والرغبة نوع من أنواع الرجاء .
- قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: آية ٩٠].

*** وقوله: (بتصحيح أعمالٍ)**

- أي يحرص أن تكون أعماله صحيحة، لا يتخلّلها فسادٌ، أو خلل.

* وقوله: (يكون متمّما)

- أي أن تكون أعماله صحيحةٌ تامة غير ناقصة، وهذا لا يكون إلّا بإخلاص النّية لله واتّباع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

■ ومعنى البيت:

٣٠ -وَمِنْهَا اِهْتِمَامٌ يُثْمِرُ الْحِرْصَ رَغْبَةً بتصحيح أعمال يكون متمّما

- أنّ صاحب القلب الحي الصحيح، يكون حريصًا على تصحيح أعماله أكثر من حرصه على أداء العمل، وكما قيل: ليكن همّك إقامة الصلاة لا أداء الصلاة، والناظم بعد هذا البيت ذكر ستّة أمور، فيها تصحّ الأعمال وتكمل.

❋❋❋

■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣١- بإخلاص قصد والنصيحة محسنًا	وتقييده بالاتّباع ملازما
٣٢- ويشهد مع ذا منةَ الله عنده	وتقصيرَه في حقِّ مولاه دائمًا
٣٣- فستٌّ بها القلب السليم ارتداؤه	وينجو بها من آفة الموت والعمى

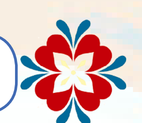
* **قوله: (بإخلاص قصد)**

- هذا الأمر الأول: الإخلاص.
- والإخلاص هو: صرف العمل، والتقرّب به إلى الله وحده، لا رياء، ولا سمعة، ولا طلبًا لعرض زائل، ولا تصنّع، وإنّما يرجو ثواب الله، ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه.
- والإخلاص هو: الشرط الأول من شروط قبول العمل عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

* **وقوله: (والنصيحة)**

- هذا الأمر الثاني: النصيحة.
- والنصيحة هي: إرادة الخير للمنصوح.
- وهي من معالم الدّين، ومن كمال الإيمان، ومن تمام الإحسان، وهي: حقّ للمسلم على أخيه المسلم.
- وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال (بَايَعْتُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إِقَامِ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)[1].

(١) صحيح البخاري (١٤٠١).



* **وقوله: (محسنا)**

- هذا الأمر الثالث: الإحسان.
- والإحسان هو: الإتقان.
- وقد عرّفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: **(أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّه يَرَاكَ)**[1].
- وقد جاء في الحديث **(إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ فإذا قتلتُم فأحسِنوا القِتلةَ وإذا ذبحتُم فأحسِنوا الذِّبحةَ وليُحدَّ أحدُكم شفرتَهُ وليُرِح ذبيحتَه)**[2].

* **وقوله: (وتقييده بالاتّباع ملازما)**

- هذا الأمر الرابع: اتّباع السّنة.
- وسنّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وملازمتها. والاتّباع هو: الشرط الثاني من شروط قبول العمل عند الله.

* **وقوله: (ويشهد مع ذا منّة الله عنده)**

- هذا الأمر الخامس: شهود المنّة.
- وهو: أن يستشعر، ويتذكّر دائمًا أنّ كلّ ما يفعله من الأعمال الصالحة، هو من توفيق الله له، ومن فضل الله عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠) واللفظ له، ومسلم (٩)

(٢) صحيح الترمذي (١٤٠٩) خلاصة حكم المحدث : صحيح

* وقوله: (وتقصيره في حقّ مولاه دائما)

- هذا الأمر السادس: الاعتراف بالتقصير في حقّ الله عَزَّوَجَلَّ.
- لأنّ الإنسان مهما بذل واجتهد، فإنّه لن يوفّي الله حقّه.

* وقوله: (فستٌّ بها القلب السليم)

المقصود بالستّ التي بها تكون القلوب سليمة:

- الأول: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.
- والثاني: النصيحة.
- والثالث: الإحسان.
- والرابع: اتّباع السّنة.
- والخامس: الاعتراف بفضل الله ومنّته.
- والسادس: الاعتراف بالتقصير في حقّ الله عَزَّوَجَلَّ.

* وقوله: (ارتداؤه)

- أي أنّ هذه الأمور السّتة، بالنسبة للقلب كالرّداء، وكالثوب الذي يُلبس على البدن.

* وقوله: (وينجو بها)

- الضمير يعود على القلب، أي أنّ القلب ينجو.
- والنّجاة: تُفيد الخلاص من المكروه.

* وقوله: (من آفة الموت والعمى)

- الآفة هي: كلّ ما يصيب الشيء فيفسده، من عاهة، أو مرض.
- والموت: مرض يعتري القلب فيهلكه ويميته.
- والعمى: كذلك من أمراض القلوب، التي تهلك القلب وتعميه.

■ ومعنى هذه الأبيات:

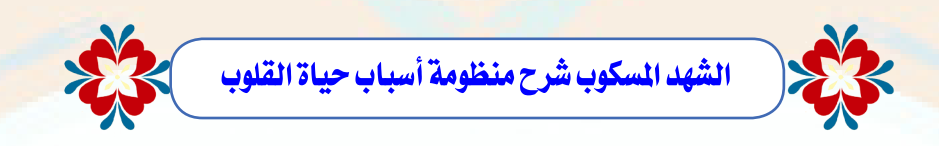
٣١ -بإخلاص قصد والنصيحة محسنًا	وتقييده بالاتّباع ملازما
٣٢ -ويشهد مع ذا منةَ الله عنده	وتقصيرَه في حقِّ مولاه دائمًا
٣٣ -فستٌ بها القلب السليم ارتداؤه	وينجو بها من آفة الموت والعمى

- أنّ القلب الصحيح، الذي يهتم بتصحيح العمل، وبمحاسبة النفس، ينتج عن هذا الاهتمام، وعن هذه العناية بقلبه وعمله، الحرص والرغبة على مراجعة أعماله والنظر فيها وتصحيحها، فإن كانت ناقصة كمّلها وأتمّها.
- والناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر ستّة أمور يكون فيها تصحيح العمل وإتمامه، من هذه الأمور ذكر الإخلاص، والمتابعة، وهذان الشرطان هما شرطا قبول العمل، لأنّ العمل لا يقبل إلّا إذا كان خالصا لله، صوابا موافقا سنّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمّ ذكر النصيحة، والإحسان، وشهود المنّة، والاعتراف بالتقصير في حقّ الله تعالى، فجعل هذه الأمور السّتة، بمثابة اللباس، والرداء التي يرتديها القلب ويتزيّن بها لله، الذي ينظر إلى القلوب، لأنّ الله محطّ نظره القلوب، قلوب العباد.

- جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وأَمْوالِكُمْ، ولَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ وأَعْمالِكُمْ)[1].
- فإنّ القلب، إذا اتّصف بهذه الصفات، فقد سلم ونجى من أخطر الأمراض، مرض الموت، ومرض العمى، الذي يكون به هلاك القلب، وفساده، وموته.

❋❋❋

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٤).



■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٤ -فدونكهـا تسـع علامات صحة   لقلـب الفتى فاحرص وكـن متعلما

*** قوله: (فدونكها)**

- أي خذها.

*** وقوله: (تسع علامات صحّة)**

- أي تسـع علامـات، تدلّ علـى صحة القلـوب وصلاحها، وقد سـبق ذكرها.

*** وقوله: (لقلب الفتى)**

- الفتى هو: الشاب في أول شبابه.

*** وقوله: (فاحرص)**

- فاحرص: فعل أمر.
- والفاعل: ضمير مستتر تقديره أنت، أي يا من تقرأ هذا النظم.
- والحرص هو: الاهتمام بالشيء والتمسّك به.

*** وقوله: (وكن متعلّما)**

- أي كُن حريصًا على هذه العلامات، وتعلّمها، واعمل بمقتضاها.

■ **ومعنى البيت:**

٣٤ -فدونكهـا تسـع علامات صحة ... لقلـب الفتى فاحرص وكـن متعلما

○ أي أنّ هـذه العلامـات التسـع، التي هي أسـباب صـلاح القلوب، قد ذكرها الناظم بداية من قوله: (إذا صحّ قلب العبد بان ارتحاله)

○ فأوّل العلامات، أن يرحل بقلبه إلى الله، إلى أن ذكر العلامات التسع، فقـال الناظم: خذ هذه العلامات، وتمسّـك بهـا، ففيها صلاح القلب، وأُنسه، وسعادته، واحرص عليها، وتعلّمها، وعلّمها، واعمل بها.

❋❋❋

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٥ - فَيَـا رَبِّ وَفِّقْنَـا إلـى مَـا نَقُولُـهُ فَمَـا زِلْـتَ يَـا ذَا الطَّـوْلِ بَـرًّا ومُنْعِمَا

* قوله: (فيا ربّ)

- الياء: حرف نداء.
- والـربّ أعظم منادى، وهذا النداء بوصف الربوبية، وهو كثير في أدعية الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.
- قـال تعالـى ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ [سـورة نوح: آية ٢٦].
- وقال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾ [سورة طه: آية ٢٥].

* وقوله: (وفّقنا)

- من التوفيق، ومعنى وفّقك الله: أي يسّر الله لك الخير.
- والتوفيق هو: أن لا يكلك الله إلى نفسك، وهو ضدّ الخذلان.
- والخذلان هو: أن يخلّي بينك وبين نفسك.

* وقوله: (إلى ما نقوله)

- أي إلى العمل بما نقول.

* وقوله: (فما زلت يا ذا الطّول)

- ذو: بمعنى صاحب، والطّول: بمعنى الفضل، والقدرة، والغنى، والسّعة.
- وقيل: الطّول أي الإنعام الواسع.

○ قال الله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ [سورة غافر: آية ٣].

* **وقوله: (برا)**

○ البرّ: اسم من أسماء الله الحسنى .

○ ومعنى هذا الاسم: اللطيف بعباده، المحسن إليهم، كثير الخير، والرحمة.

* **وقوله: (ومنعما)**

○ أي صاحب النّعم.

○ قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [سورة النحل: آية ٥٣].

○ وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٨﴾ [سورة النحل: آية ١٨].

■ **ومعنى البيت:**

٣٥ -فَيَا رَبِّ وَفِّقْنَا إلى مَا نَقُولُهُ فَمَا زِلْتَ يَا ذَا الطَّوْلِ بَرًّا ومُنْعِمَا

○ بدأ الناظم يتوسّل إلى الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العظيمة، بأن يوفّقنا للعمل بما نقول، لأن ثمرة العلوم العمل بالمعلوم، وعلم بلا عمل، كشجرة بلا ثمر، مصيرها إلى النّار تكون حطبا، والله جَلَّ وَعَلَا، ذمّ هذا المسلك وهو أن نقول ولا نعمل.

○ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [سورة الصف: ٢-٣].

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٦ -فَإِنِّـي وَإِنْ بَلَّغْـتُ قَـوْلَ مُحَقِّقٍ   أُقِـرُّ بِتَقْصِيـرِي وَجَهْلِـي بِعِلْـمِ مَـا

* قوله: (فإنّي وإن بلّغت)

○ هذه إشارة إلى أنّ هذا النظم، ليس بكلام الناظم، وإنّما هو من كلام غيره.

* وقوله: (قول محقّق)

○ القول المحقّق هو: المحكم المنظّم.

* وقوله: (أقرّ بتقصيري)

○ أقرّ بمعنى: أعترف وأشهد على نفسي بالتقصير.

○ وقصّر في الأمر أي: تهاون فيه.

* وقوله: (وجهلي بعلم ما)

○ أي أنّي أجهل ما ينفعني، وهذا من تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

■ ومعنى البيت:

٣٦ -فَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتُ قَوْلَ مُحَقِّقٍ   أُقِـرُّ بِتَقْصِيرِي وَجَهْلِـي بِعِلْمِ مَا

○ أي أنّـي وإن قمت بالبلاغ، فإنّ الـكلام ليس من قولي، وإنّما من كلام أهـل العلـم والتحقيق، فكيف أتكلّـم به، وأنا أعـترف بالتقصير، وَأُقِرُّ بِجَهْلِـي وَلَا أَعْـرِفُ مَا يَنْفَعُنِي، وهذا من عظيـم تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإنّما هو من أهل العلم، ومن المحقّقين، ومن العلماء الكبار.

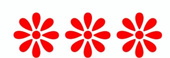
وهنا تنبيه:

- في هذا البيت، دليل على أنّ الإنسان يعلّم ويبلّغ، ولو كان فيه تقصيرا، لأن تعليمك للخير يناديك لفعل الخير، فلا يُترك نشر العلم، بدعوى التقصير، فإنّها دعوة باطلة.

وكما قال الشاعر:

إذا لم يعِظْ في الناس من هو مُذنبٌ ... فمن يعظُ العاصينَ بعد محمّدِ

- قال الحسن البصري لرجل: عِظْ أصحابك، فقال: إنّي أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال: يرحمك الله، وأيّنا يفعل ما يقول؟ يودّ الشيطان أنّه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينهَ عن منكر.



■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٧ -ولكن بحبّي للعلومِ وأهلِها رجوتُ ثوابًا في حديثٍ لديهما

❊ قوله: (ولكن)

○ لكن: حرف استدراك.

❊ وقوله: (بحبّي للعلوم وأهلها)

○ المقصود: أنّه كتب هذه المنظومة، بسبب حبّه للعلم، وأهل العلم.

❊ وقوله: (رجوت ثوابا)

○ الرجاء هو: تعلّق القلب بالله، بحصول شيء محبوب في المستقبل.

○ وقيل هو: الاستشعار بجود الله وفضله، والطّمع في إحسانه، وعطائه.

۞ وهنا مسألة: ما الفرق بين الرجاء والتّمني؟

الجواب:

○ الرجاء: يكون مع بذل الجهد، وحسن التّوكل.

○ والتّمني: يكون مع الكسل، وترك العمل .

○ حتّى قيل في الأمثال: (التّمني رأس أموال المفاليس).

○ وقال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [سورة الكهف: آية ١١٠].

* وقوله: (في حديث لديهما)

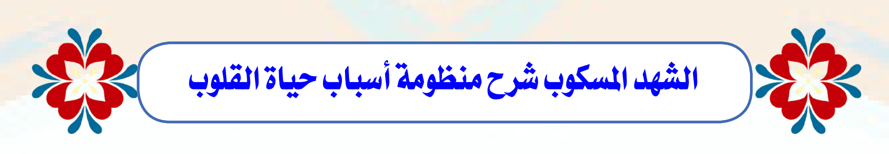
- الحديث المشار إليه في هذا البيت قال بعض الشّراح هو: حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: ومَاذَا أعْدَدْتَ لَهَا. قَالَ: لا شيءَ، إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللهَ ورَسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: أنْتَ مع مَن أحْبَبْتَ. قَالَ أنَسٌ: فَما فَرِحْنَا بشيءٍ، فَرَحَنَا بقَوْلِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أنْتَ مع مَن أحْبَبْتَ قَالَ أنَسٌ: فأنَا أُحِبُّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأَبَا بَكْرٍ، وعُمَرَ، وأَرْجُو أنْ أكُونَ معهُمْ بحُبِّي إيَّاهُمْ، وإنْ لَمْ أعْمَلْ بمِثْلِ أعْمَالِهِمْ)[1].
- (وأنا والله العظيم أحبّ الله ورسوله، وأحبّ الصحابة، وأحبّ العلماء والصالحين وإن لم أكن منهم، أو أعمل بعملهم).

■ ومعنى البيت:

٣٧ -ولكن بحبّي للعلومِ وأهلِها رجوتُ ثوابًا في حديثٍ لديهما

- إنّ من نعم الله على العبد، أن يحبّب إليه العلم وأهل العلم، وإنّ من الخذلان والحرمان بغض العلم وأهل العلم.
- والناظم بيّن السبب الذي من أجله كتب هذه المنظومة المباركة، وهو محبّة العلم وأهله، وطمعا في ثواب الله، لأنّ من أعظم الأعمال فضلاً وخيراً وبركة، نشر العلم، لأنّ العلم الشرعي يحتاجه كل أحد، بل حاجتنا للعلم الشرعي أعظم من حاجتنا للطعام والشراب، ونشر العلم عبادة من أعظم العبادات بعد الفرائض.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٩)، والترمذي (٢٣٨٥)، والنسائي في (السنن الكبرى) (٥٨٤٢) باختلاف يسير.



○ قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا أعلم درجة بعد النبوة، أفضل من نشر العلم، وفي قول الناظم في حديث لديهما قيل: أنّه أشار إلى حديث أنس بن مالك المذكور آنفا (أَنْتَ مع مَن أَحْبَبْتَ).

○ وقيل: أنّه خاف من كتمان العلم، لما يروى عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه قال في حديث عبد الله بن عمر: (مَن كتَم عِلْمَا ألجمه اللهُ يومَ القيامةِ بلِجامٍ مِن نارٍ)[1].

○ وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [سورة التوبة: آية ١٢٢].

❋❋❋

(١) أخرجه الطبراني (١٤/ ٣٢) (١٤٦١٧) باختلاف يسير، والحاكم (٣٤٦)، والبيهقي في ((المدخل إلى السنن)) (٥٧٥).

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٨ -وَلَمَّا أَتَى مِثْلِي إلى الجَوِّ خَالِيًا ... مِنَ العِلْمِ أَضْحَى مُعْلِنًا مُتَكَلِّمَا

٣٩ -كَغَابِ خَلَا مِنْ أُسْدِهِ فَتَوَاثَبَتْ ... ثَعَالِبُ مَا كَانَتْ تَطَا فِي فِنَا الحِمَى

* قوله: (وَلَمَّا أَتَى مِثْلِي)

○ أي مَنْ هُمْ أَمْثَالِي مِنْ أَهْلِ التَّقْصِيرِ.

* وَقَوْلُهُ (إِلَى الْجو خاليا من العلم)

○ أي أنّ المكان لا يوجد فيه علم، ولا علماء.

* وقوله: (أضحى معلنًا متكلمًا)

○ أي أصبحت أُعلن وأتكلّم.

* وقوله: (كغاب خلا من أسده)

○ الكاف للتشبيه، والمقصود: أنّ هذه الغابة، خلت من الأسود.

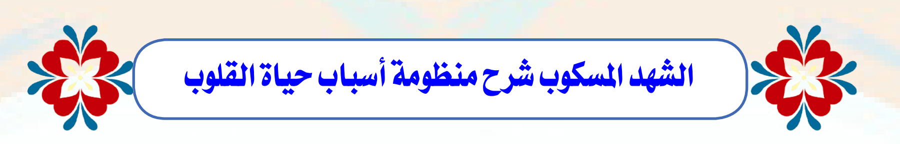
○ والأسد هو: ملك الغابة.

* وقوله: (فتواثبت)

○ تواثبت أي: قفزت وهجمت.

* وقوله: (ثعالب)

○ الثعالب جمع ثعلب، وهو: الحيوان الوحشي من الفصيلة الكلبية، ويُضرب به المثل في المكر، والحيلة، والروغان.



* وقوله: (ما كانت تطأ في فنا الحمى)

○ أي ما كانت تجرؤ هذه الثعالب، أن تدخل هذه الغابة، ولكن لما خلت الغابة من الأسود، تجرّأت الثعالب.

■ ومعنى البيتين:

٣٨ -وَلَمَّا أَتَى مِثْلِي إلى الجَوِّ خَالِيًا   مِـنَ العِلْمِ أَضْحَـى مُعْلِنًا مُتَكَلِّمَا

٣٩ -كَغَابِ خَلَا مِنْ أُسْدِهِ فَتَوَاثَبَتْ   ثَعَالِبُ مَا كَانَتْ تَطَا فِي فِنَا الحِمَى

○ أي أنّ سبب تبليغي لهذا العلم، وكتابتي لهذا النّظم، أنّه حين أتى من هو مثلي من أهل التقصير، إلى مكان لا يوجد فيه علماء، تكلّمت، ونظمت، وألّفت، فحالي كحال الغابة التي ليس فيها أسود أي علماء، فلمّا خلت الغابة من الأسود، تواثبت الثعالب على الغابة، وهذا من تواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنّ الإنسان كلّما هضم نفسه رفعه الله، وكلّما رفع نفسه أسقطه الله.

❊❊❊

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٠ - فيَا سَامِعَ النَّجْوَى وَيَا عَالِمَ الخَفَا   سَـأَلْـتُـكَ غُـفْـرَانًـا يَـكُـونُ مُعَمِّمَا

* قوله: (فيا سامع النجوى)

○ النجوى هي: أن يكلّم الإنسان نفسه سرًا.

○ وقيل هي: حديث السر بين شخصين.

○ قد جاء في الحديث (إذا كنتُم ثلاثةً فلا يتناجى اثنانِ دون الثالثِ حتى يختلِطوا بالناس فإنه يُحزِنُه ذلك)[1].

○ والذي يسمع النجوى هو الله جَلَّجَلَالُهُ، الذي وسع سمعه الأصوات.

○ قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [سورة طه: ٧-٨].

○ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [سورة المجادلة: آية ٧].

* وقوله: (وَيَا عَالِمَ الْخَفَا)

○ الخفاء هو: كلّ ما غاب عن أعين الناس، واستتر.

---

(١) أخرجه البخاري في (الأدب المفرد) (١١٧١) واللفظ له، وأصله في صحيح البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤) باختلاف يسير

- فلا يعلم الغيب إلاّ الله جَلَّجَلَالُهُ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾ [سورة سبأ: آية ٣].
- ومعنى قول الله: (لا يعزب عنه) أي لا يغيب عنه.

*** وقوله: (سألتك)**

- السؤال هو: الدعاء والطلب.

*** وقوله: (غفران)**

- الغفر والغفران في اللغة: يدلّ على الستر والتغطية.
- ومن ذلك المغفر وهو: الذي يستر الرأس ويغطيه.
- والغفور، والغفّار من أسماء الله تعالى، وهو: يغفر الذنب، ويستره، ويعفو عنه.
- قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الذي لا يبخل على عباده المذنبين، الملتجئين إليه الذين يطلبون منه العفو، والمغفرة، لا يبخل عليهم بمغفرته، ورحمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.
- قال الله تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ [سورة الزمر: آية ٥٣].

* **وقوله: (يكون معمّما)**

○ يعني مغفرة عامة، تشمل جميع الذنوب، كبيرها وصغيرها.

■ **ومعنى البيت:**

٤٠ - فيَا سَامِعَ النَّجْوَى وَيَا عَالِمَ الخَفَا ... سَأَلْتُكَ غُفْرَانًا يَكُونُ مُعَمِّمَا

○ الناظم تضرّع إلى الله، وتوسّل إليه، بهذين الوصفين، اللذان يشملان إحاطة الله وعلمه وسمعه، فإنّ الله جَلَّ وَعَلَا من كمال قدرته، أنّه لا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عنه شيء سبحانه، هو السميع الذي وسع سمعه الأصوات، لا تغلّطه المسائل، ولا تختلف عليه اللغات، ولا تختلط عليه الطلبات، ولا يلهيه ضجيج الأصوات، ولا تُعجزه كثرة الطلبات والحاجات، يسمع داعيا، ويجيب سائلا، ويغيث ملهوفا ويفرّج عن مكروب.

○ تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات،

○ فالناظم يتوسّل إلى الله، ويتضرّع إليه، ويناجيه بهذه الأسماء الحسنى، وهذه الصفات العظيمة، بأن يغفر له مغفرة كبيرة، تعمّ كلّ ذنب وخطيئة.

❋❋❋

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤١ -فَما جـرَّني إلّا اِظْطِـرَارٌ رَأَيْتُـهُ   تَخَوَّفْـتُ كَوْنِـي إنْ تَوَقَّفْـتُ كَاتِمَـا

* قوله: (فما جرّني)

○ أي ما دفعني.

* وقوله: (إلّا اضطرار رأيته)

○ الاضطرار هو: الحاجة والضرورة.

○ ورأيته أي: أبصرته.

* وقوله: (تخوّفت كوني إن توقفت كاتما)

○ أي أنّني خفت إن توقفت وسكتّ عن البلاغ، أكون ممّن كتم العلم.

■ ومعنى البيت:

٤١ -فَما جرَّني إلّا اِظْطِرَارٌ رَأَيْتُهُ   تَخَوَّفْتُ كَوْنِي إنْ تَوَقَّفْتُ كَاتِمَا

○ الناظم من تواضعه، كرّر الاعتذار على كتابة هذا النّظم، وبيّن الأسباب التي منها أنّه رأى نفسه مضّطرا إلى الكلام والإعلان، فإنّه خاف من كتمان العلم، لأنّ الله جَلَّ وَعَلَا، توعّد من يكتم العلم.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة البقرة: آية ١٧٤].

- فخشي وخاف أن يكتم العلم، وأيضًا في هذه الأبيات، إشارة إلى أنّ الإنسان لا يلزم من تبليغه للعلم، أن يكون كامل الأهلية في العلم، أو يكون في منزلةٍ عالية من العلم، حتى يفيد غيره، أو يبلّغ العلم.
- قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً)[1].
- المهم أن تكون دعوته على علمٍ وبصيرة.
- قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف: آية ١٠٨].

❋❋❋

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١)

■ قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٢ -فَأَبْدَيْتُ مِن جُرَّاهُ مُزْجَى بِضَاعَتِي وَأَمَّلْتُ عَفْوًا مِن إلهِي وَمَرْحَمَا

* قوله: (فأبديت)

○ أي أظهرت.

* وقوله: (من جرّاه)

○ يعني بسبب ذلك الأمر.

* وقوله: (مُزجى بضاعتي)

○ الإزجاء في اللغة هو: الدفع . قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ [سورة النور: آية ٤٣] أي يسوقه من مكان إلى مكان.

○ والبضاعة المزجاة هي: الرديئة القليلة، التي لا يلتفت لها التّجار، ولا يرغبون فيها.

* وقوله: (وأمّلت)

○ أي رجوت ودعوت.

○ والرجاء في الله، من أعظم العبادات القلبية، ومنزلة الرجاء من أشرف منازل السائرين وأعلاها.

* وقوله: (عفوا)

○ العفو هو: التجاوز والصّفح.

- وقيل هو: التجاوز عن الذنب، وعدم العقاب عليه.
- وأصل العفو: المحو والطّمس.

وهنا مسألة: ما الفرق بين العفو والمغفرة والصّفح؟

الجواب:

- الصفح هو: ترك التثريب والعتاب، وهو أبلغ من العفو، لأن الإنسان قد يعفو ولا يصفح.
- والعفو هو: ترك العقوبة على الذنب، وترك عقوبة المذنب.
- والمغفرة: إحسان وفضل وجود، وهي أبلغ من العفو، لأنّها تضمّنت الإحسان والعطاء.

* **وقوله: (من إلهي)**

- هذا توسّل إلى الله، بصفة الألوهية.

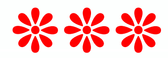
* **وقوله: (مرحما)**

- أي: طلب الرحمة.
- والرحمة : بمعنى العفو والمغفرة.
- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [سورة الأنعام: آية ٥٤].

■ **ومعنى البيت:**

٤٢ -فَأَبْدَيْتُ مِن جُرَّاهُ مُزْجَى بِضَاعَتِي وَأَمَّلْتُ عَفْوًا مِن إلهي وَمَرْحَمَا

- أي ممّا جعلني أُظهر للنّاس علمي، وهو بمثابة البضاعة المزجاة، خوفي من كتمان العلم، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧﴾ [سورة آل عمران: آية ١٨٧].
- وأيضًا أملي ورجائي، بعفو الله ورحمته، فأرجو أن يغفر الله لي، مع تطاولي وتقصيري.



■ **قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

٤٣ -فَمَا خَابَ عَبْدٌ يَسْتَجِيرُ بِرَبِّهِ　　　أَلَـحَّ وَأَمْسَى طَاهِرَ القَلْبِ مُسْلِمَا

* **قوله: (فما خاب)**

○ الخيبة هي: عدم تحقيق ما كان يُرجى.

○ وقيل: الفشل والخسران .

○ فمعنى ما خاب أي: ما خسر.

* **وقوله: (عبدٌ)**

○ العبد مأخوذ من العبودية، وأصل العبودية هي: الخضوع والتّذلل.

وهنا فائدة: تنقسم العبودية إلى قسمين:

* القسم الأول: عبودية عامة وهي: التي لا يخرج عنها مخلوق.

○ وتسمّى عبودية القهر، فالخلق كلّهم بهذا المعنى عبيد لله، لا يخرجون عن حُكمه .

* القسم الثاني: عبودية خاصة وهي: عبودية الانقياد، والمحبّة، والطاعة.

○ وهي أشرف أنواع العبودية، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [سورة الفرقان: ٦٣-٦٧].

* وقوله: (يستجير بربّه)

○ المستجير هو: الذي يطلب العون والمدد والنجدة.

قال الشاعر:

المستجير بعمر عند كربته   كالمستجير من الرّمضاء بالّنار

ومعنى يستجير بربّه أي: يستغيث به، ويلجأ إليه، ويطلب منه العون والحماية.

* وقوله: (ألحّ)

○ ألحّ في سؤاله أي: تابع وواصل ودام في طلبه.

* وقوله: (أمسى)

○ أي: دخل في المساء، وهي بمعنى: صار.

* وقوله: (طاهر القلب)

○ طاهر القلب هو: الذي سلم من أمراض القلوب، وصلح قلبه، وخلى من الآفات والشبهات، والشهوات .

○ قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (ألَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْبُ)[1].

* وقوله: (مسلّما)

○ الإسلام هو: الاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

(١) صحيح البخاري (٥٢).

■ **ومعنى البيت:**

٤٣ -فَمَا خَابَ عَبْدٌ يَسْتَجِيرُ بِرَبِّهِ ... أَلَحَّ وَأَمْسَى طَاهِرَ القَلْبِ مُسْلِمَا

○ أنّ كلّ من توجّه إلى الله، وأقبل عليه، فإنّ الله لا يخيّب من دعاه، ولا يردّ من سأله، لأنّه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

○ جاء في الحديث **(يا عِبَادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبَادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي)**[1].

○ وفي البيت ذكر الناظم، أسباب إجابة الدعاء، وهي: الإلحاح في الدعاء، فإنّ الله تعالى يُحبّ الملحّين في الدعاء، لأنّ العبد اللحوح، لا يزال يُلحّ، ولا يزال يرجو ولا ينقطع دعاءه، وهذا دليل على صحّة قلبه، وصدق عبوديته.

○ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يُسْتَجابُ لأحَدِكُمْ ما لَمْ يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي)**[2].

○ وأيضًا من أسباب قبول الدعاء: طهارة القلب وسلامته، والإسلام والاستسلام لله من أعظم النّعم، فلا يوجد نعمة، أعظم من نعمة الإسلام، فمهما عمل الإنسان من أعمال، فإنّها لا تساوي شيئا بدون إسلام لله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

- قال تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران: آية ٨٥].

■ **قال الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤٤ -وَصَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ محمدٍ كَذا الآلِ والأصحاب مَا دَامَتْ السَّمَا

*** قوله: (صلّوا)**

- أي يا معاشر المسلمين، اذكروه بالصلاة.
- والصلاة بمعنى: الدعاء.

*** وقوله: (على خير الأنام)**

- الأنام: جميع ما على الأرض من خلق، وقد يشمل الجن.
- وخير الأنام أي: خير الخلق، وخيرهم وسيدهم هو: محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

*** وقوله: (محمد)**

- محمد هو: أبو القاسم محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب الهاشمي القرشي.
- وهو رسول ربّ العالمين، أرسله إلى الجنّ والإنس، أرسله الله رحمة للعالمين.

*** وقوله: (كذا الآل)**

- الآل: آل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم: قرابته وأهل بيته.

* وقوله: (والأصحاب)

- الأصحاب هم: صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رضي الله عنهم وأرضاهم.
- والصحابي هو: الذي لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنا به، ومات على ذلك.

* وقوله: (ما دامت السّما)

- أي: أصلّي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله، وأصحابه، ما دامت السماء. ومعنى البيت:

٤٤ -وَصَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ محمدٍ كَذا الآلِ والأصحاب مَا دَامَتْ السَّمَا

- ختم الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ منظومته بالصلاة، والسلام على رسول الله كعادة العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ فبدأ بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وختم بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قربة من أجلّ القربات، ومن الأعمال الزّاكيات الصالحات، والمداومة على الصلاة والسلام على رسول الله، وذكره، والثناء عليه، دليل على صحة القلب وسلامته.
- قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَن صَلَّى عَلَيَّ واحِدَةً صَلَّى اللهُ عليه عَشْرًا)[1].

***

(١) صحيح مسلم (٤٠٨).

الخاتمة

الواجب على العاقل أن يعتني بقلبه، ولسانه، وعمله، فإنّ صلاح الأعمال واستقامة اللسان، مربوطة بصلاح القلب.

أسأل الله العظيم، أن يصلح قلوبنا، وأعمالنا، وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم، وأن يُعيذنا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، إنّه سميع قريب، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

❋❋❋